الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة محمد بوضياف المسيلة.

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية.

قسم التاريخ.

رقم:.....

العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص : التاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبة :

نفيسة رحماني

مقدمة امام لجنة المناقشة		
اسم ولقب الاستاذ (ة)	المؤسسة الجامعية	الصفة
	محمد بوضياف– المسيلة	رئيسا
د.عبد القادر خليفي	محمد بوضياف– المسيلة	مشرفا ومقررا
	محمد بوضياف– المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية:1439هـ – 1440هـ/ 2018م – 2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

يقول النبي صلى الله عليه وسلم " من لا يشكر الناس لا يشكر الله "

من الواجب وأداء للأمانة أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي الذين كان لهم الفضل في إخراج هذا العمل إلى النور وأخص بالذكر أستاذي المشرف عبد القادر خليفي الذي لم يبخل علي بنصائحه وكان دقيقا في ملاحظاته وتوجيهاته .

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الطاهر ابرير الذي رافقني في مشواري البحثي .

إلى زوجي طيب الله ثراه .....

إلى والدي اللذان لم يبخلا علي بخالص دعائهم .....

إلى ابنتي كوثر .....

إلى جميع أفراد عائلتي وصديقاتي .....

– قائمة المختصرات :

ج : الجزء

ص : صفحة

ط : طبعة

د ت : دون تاريخ

د ط : دون طبعة

الخ : إلى آخره

ع : العدد

هـ : هجري

م : ميلادي

PAGE : P

مقدمة البحث وخطته

مقدمة :

لقد حظي العهد العثماني بالجزائر بنصيب هام من الدراسات والأبحاث التي اهتمت بشكل لافت بالمظاهر السياسية والتطورات العسكرية التي ميزت تلك المرحلة ، غير أن الكتابات التي تناولت الدافع الثقافي بتفاعلاته المختلفة ، ونظرة العثمانيين إلى الثقافة المحلية وإسهاماتهم في هذا الباب لم تنل سوى قسطا ضئيلا من تلك الاهتمامات البحثية ومن ثمة جاء هذا العمل لمعالجة جانب بالغ الأهمية ، ويتعلق الأمر بالمؤثرات المتنوعة التي أسهمت في تشكيل النسيج الاجتماعي الجزائري ، وتحديد تعاطيه مع مقومات الحياة الثقافية بما يعكس نمط التفكير ومستويات الأنشطة في الحضارة .

إشكالية الدراسة :

تتمحور الإشكالية الرئيسية لهذه الدراسة حول تحديد طبيعة المؤثرات في الحياة الثقافية ، وتحليل مظاهرها ، بمعنى استنطاق حدود التأثير وتجلياته .

وتتدرج تحتها جملة تساؤلات فرعية على النحو الآتي :

- ما هي ملامح الوضع الثقافي للجزائر قبل ارتباطها بالدولة العثمانية ؟
- ما مدى تأثير الهجرات الأندلسية على الحياة الثقافية ؟
- فيما يتجلى دور العلماء في الحياة الثقافية ؟
- ماهي طبيعة مساهمة الحكام العثمانيين في الحياة الثقافية ؟
- كيف أثر التصوف وطرقه على الحياة الثقافية ؟

أسباب اختيار الموضوع :

يعود اختياري لهذا الموضوع إلى أهميته التاريخية البالغة خصوصا وأن مختلف الدراسات تسلط الضوء على الجانب السياسي ، والعسكري وتهمل الجانب الثقافي .

مناهج البحث :

لقد اعتمدت في دراستي على مناهج متعددة ، تنوعت بتنوع مضامين فصولها وما يتطلب من عرض وصفي للمادة التاريخية ، ومن تحليل لطبيعة العلاقات والتأثيرات، ومن ثمة فقد وظفت المنهج التاريخي الوصفي ، والمنهج المقارن ، والمنهج التحليلي في رصد وتتبع الكتابات واستنباط مواقفها .

الصعوبات :

وفيما يخص الصعوبات التي واجهتني في إنجاز الموضوع هي وفرة المادة العلمية وصعوبة التحكم فيها ، خصوصا وأن الجانب الثقافي مجال واسع ، علاوة على طول الفترة الزمنية المحددة للدراسة ، بالإضافة إلى التداخل أحيانا بين العلماء والمتصوفين حيث يصعب التفريق بينهم .

وصف المصادر والمراجع :

اعتمدت في دراستي على عدة مصادر ومراجع بالإضافة إلى بعض الدراسات الأكاديمية كرسائل الماستر والماجيستر والدكتوراه ، وعدة مقالات ويمكن تحديدها على النحو الآتي :

فبالنسبة للمصادر فقد اعتمدت على كتاب " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لأحمد بن سحنون الراشدي ، الذي ركز فيه على المعاملة الحسنة لباي وهران محمد الكبير للعلماء وحبه للعلم والعلماء ، ومؤلف بن عودة المزاري " طلوع سعد السعود الذي تحدث فيه عن الباي إبراهيم المليانى الذي قرب العلماء إليه ، وكذلك مذكرات نقيب أشراف الجزائر أحمد الشريف الزهار ، الذي تحدث عن جعل الباي محمد بن عثمان العلماء كوزراء ومستشارين، وكذلك أبو راس الناصر في "فتح الإله ومنته في التحدث

بفضل ربي ونعمته" الذي تناول فيه رحلته العلمية والعلماء الذين التقى بهم ، وعبد الكريم الفكون في كتابه "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" ، اعتمدت عليه في حديثه عن المتصوفة واعتمادهم على الدجل وبعدهم عن الدين ، وابن مريم التلمساني "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" الذي عرف بالعلماء وتناول سيرهم ، بالإضافة إلى مصادر أخرى .

أما المراجع فهي عديدة أهمها أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي بجزئيه الأول والثاني ، وناصرالدين سعيدوني في مؤلفيه "النظام المالي" و "دراسات اندلسية "(مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الاندلسي بالجزائر) ، علاوة على كتابات بحثين آخرين على غرار عميراوي احميدة " قضايا مختصرة " ، حنيفي هلايلي " أوراق في تاريخ الجزائر" ، صالح عباد "الجزائر خلال الحكم التركي 1514 –1830م "، أحمد مريوش "الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني " ، عبد المنعم القاسمي الحسني "أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى" .

أما الرسائل والأطروحات ، فقد اعتمدت على أطروحة رشيدة شدري معمر " العلماء والسلطة أواخر العهد العثماني" ، قدور بوجلال " مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671– 1830م" ، ارزقي شويتام "المجتمع الجزائري وفعالياته" .

إضافة إلى العديد من المقالات التي تخدم الموضوع ، مثل " هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي 1520 . 1830م" لمحمد بوشنافي ،"هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرنين 10هـ / 16م" لمسعود بقادي .

خطة البحث : لقد قسمت بحثي هذا إلى :

مقدمة أربعة فصول وخاتمة ، تناولت في الفصل الأول الموسوم من المغرب الأوسط إلى الجزائر إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية وكذلك طبقات المجتمع الجزائري ، بالإضافة إلى عرض الوضع الثقافي للجزائر قبل ارتباطها بالدولة العثمانية .

وتضمن الفصل الثاني الذي عنونته بـ : الهجرة الأندلسية وإسهامها الحضاري ، حيث عالجت في الأول الهجرات الأندلسية إلى الجزائر ، وخصصت الثاني للحديث عن أشهر العائلات المهاجرة ومواطن استقرارها ، وجاء الثالث بعنوان الإسهامات العلمية والفنية للأندلسيين في حين سلطت المبحث الأخير على التواصل الاجتماعي بين السكان المحليين والوافدين الأندلسيين .

أما الفصل الثالث المعنون بـ : العلماء والمشهد الثقافي فقد تناولت في مبحثه الأول مكانة العلماء وطبيعة علاقتهم بالسلطة وعالجت في الثاني هجرة العلماء إلى المشرق والمغرب وأفردت الثالث للحديث عن الإنتاج الثقافي للعلماء .

زفي الفصل الرابع والذي حمل عنوان التصوف والمرابطين بين الانتشار والتأثير وقد تضمن أربعة مباحث ، تناولت في الأول لمحة عن ظهور التصوف وانتشاره بالجزائر ، وتطرقت في الثاني إلى علاقة الحكام والعلماء بالتصوف ، ودرست في الثالث أهم الطرق الصوفية وثوراتها ، وجعلت الرابع بعنوان الطرق الصوفية والإنتاج الثقافي .

وأنهيت بحثي بخاتمة أدرجت فيها أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة المتواضعة كما زودتها بفهارس الأعلام والأماكن ، وفهرس للموضوعات .

وفي الإخير أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا الموضوع سواء أكان من قريب ، أم من بعيد ، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف على ملاحظته التي رافقتني طول فترة إنجاز البحث .

الفصل الأول

من المغرب الأوسط إلى الجزائر

ـ المبحث الأول : تأسيس الإيالة

ـ المبحث الثاني : بنية المجتمع الجزائري العثماني

ـ المبحث الثالث : واقع البيئة الثقافية للجزائر العثمانية

ـ المبحث الأول : إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية :

عرف غرب البحر المتوسط خلال القرن 16م صراعا بين القوى المسيحية خاصة اسبانيا الكاثوليكية ، وبين القوى الإسلامية ممثلة في السلطة العثمانية التي كانت تشكل إمبراطورية ما فتيء نفوذها يتزايد ، والحقيقة أن هذا الصراع كان في جوهره استمرارا للنزاع التاريخي المستمر بين المسيحيين والمسلمين ، وكان لسقوط غرناطة في الأندلس عام 1492م واضطرار المسلمين لمغادرتها قسرا ثم تزايد الأطماع الاسبانية في احتلال الأراضي المغاربية من خلال غاراتها المتكررة بدعوى ملاحقة الموريسكيين ، كانت هذه الأسباب أكبر دافعا للجزائريين للبحث عن تحالفات لصد العدوان الخارجي خاصة في ظل الضعف العسكري الذي عرفته المنطقة خلال تلك الفترة [1]، حيث عرفت الدولة الزيانية أواخر عهدها ضعفا وانحطاطا، بحيث دخل أمراؤها في صراع على العرش ، ولم تعد تملك هذه الدولة من النفوذ إلا تلمسان ، وبعض أجزاء المناطق الغربية ، وبلاد القبائل الكبرى كانت تحت حكم زاوية بلقاضي ، ومدينة الجزائر تحت سلطة الثعالبة ، والقبائل الصغرى تحت نفوذ بني العباس ، وبجاية تابعة للحكم الحفصي ، أما الصحراء ومناطق الأوراس فكانت تكون امارات مستقلة ، ونفس الحال ينطبق على تنس ومليانة وغيرها، وأمام هذا الوضع المزري لم يجد سكان الجزائر وسيلة إلا الاستنجاد بالإخوة الأتراك المسلمين **عروج** و **خيرالدين** .[2]

أدرك خيرالدين أنه لا يستطيع الحفاظ على الجزائر لوحده ، لذلك ربط مصيره بمصير الإمبراطورية العثمانية ، بعد أن أقنع أعيان مدينة الجزائر بخطورة الوضع ، فقدم

---

[1] محمد مقصودة ، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1519م ـ 1830م ، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ والآثار ، جامعة وهران ،2013م– 2014م ، ص 19 .

[2] عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، ريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002م ، ص 89 .

الولاء للسلطان العثماني سليم الأول وعينه هذا الأخير بايلرباي[1] وزوده بـ ألفين جندي من الانكشارية مزودة بالعتاد العسكري وأربعة ألاف متطوع ، وبهذا دخلت الجزائر رسميا في حظيرة الدولة العثمانية . [2]

ويقول خيرالدين في مذكراته :" إن أهالي الجزائر يعرفون جيدا قيمة النعمة التي يعيشون في كنفها منذ أن حللنا ببلدهم ، فقد استطعنا أن نوحد إمارات وقبائل هذا البلد الكبير وازدهرت التجارة مرات كثيرة ، وأمن المسلمون من ظلم الأسبان، فصاروا أحرار يسيرون مرفوعي الرأس كل ذلك لأنهم تابعون لأكبر سلاطين الدنيا "[3] .

كما ساهم العلماء في إقناع العامة والخاصة بضرورة الانصياع للأمر الواقع والدخول في السلم مع الحماة الجدد الوافدين باسم الخلافة وباسم الدين وهما عاملان كفيلان بالوقوف كلحمة مشتركة ، وهذا يتجلى من خلال مبادرة ابن الفقون التي لاقت مبادرته صداها نظرا لما آلت اليه الأوضاع في هذه المنطقة ، فنجد قسنطينة تدخل مرحلة من الازدهار الاقتصادي والفكري يكاد يكون علامة بارزة في التواجد العثماني بهذه الديار .[4]

---

[1] البايلرباي من المناصب الرفيعة في الدولة ، وتلفظ أيضا بكلربكي أي أمير الأمراء ، والبايلرباي من كبار رجال البحر الذين يعود الفضل إليهم في تنظيم القوة البحرية العثمانية . انظر إلى : محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ، ط1 ، د د ن ، دمشق ، 1969م ، ص 56 .

[2] عمار عمورة ، المرجع السابق ، ص 90 .

[3] خيرالدين بربروس ، مذكرات خيرالدين بربروس ،ترجمة : محمد دراج ، ط1 ، شركة الأصالة للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2010 ، ص 101.

[4] احمد ابن المبارك ابن العطار ، تاريخ بلد قسنطينة 1790 – 1870م ، تحقيق : عبد الله حمادي ، دار الفائز للطباعة والنشر ، قسنطينة ، 2011م ، ص 50 .

1ـ تأسيس الإيالة :

أ ـ نظـــام الحكـــم :

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني تطورات سياسية هامة من خلال تغيير أنظمة الحكم والتقسيم الإداري للجزائر ، فنظام الحكم مر بعدة مراحل هي :

1ـ فترة البايلربايات : 1519 ـ 1587م من أزهى العصور لأنه عاصر السلاطين العظام وعصر القوة العثمانية[1]، يعين البايلرباي بفترة غير محدودة بزمن وغالبا ما كانوا يستدعون لاستلام منصب أعلى هو وزير البحرية ، وقد كان ولاة هذا العهد أقوياء وأصحاب نفوذ واسع تخطت سلطتهم الجزائر إلى تونس وليبيا ، ويعتبر البايلربايات نواب السلطان العثماني[2]، ويذكر خيرالدين:" كنت سلطانا على الجزائر وفي الوقت نفسه كنت عبدا بسيطا لدى آل عثمان بمنصب بايلرباي الجزائر، إلا أنني كنت أعرف في أوروبا باسم ملك الجزائر.[3]

2ـ فترة الباشاوات : 1587 ـ 1659م يعين الباشا لمدة ثلاث سنوات ، عرف هذا العهد اضطرابات داخلية وخارجية عرضت الحكم التركي لهزات عنيفة وتقلبات في الجانب السياسي والإداري،[4] لم يفكر الباشوات إلا في جمع الثروات والعودة إلى اسطنبول وبالتدرج انتقلت الولاية إلى الانكشارية وكسب ديوانهم قوة ونفوذا وصار الباشوات موظفين فقط لرئاسة الاحتفالات الرسمية وعقد المعاهدات .[5]

---

[1] حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2008م ، ص 130 .

[2] محمد بن ميمون ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تحقيق : محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1981 ، ص 35 .

[3] خيرالدين بربروس ، المصدر السابق ، ص 94 .

[4] جمال الدين سهيل ، "ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن 11هـ / 17م "، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، ع 13 ، قسم التاريخ ، المركز الجامعي غرداية ، 2011م ، ص ص 145 _ 147 .

[5] أرجمنت كوران ، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر ، ترجمة : عبد الجليل التميمي ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، 1990 ، ص 25 .

3 ـ فترة الأغوات : 1659 ـ 1671ممن أقصر فترات الحكم في الجزائر عرفت فيها البلاد اضطرابات سياسية كبيرة في نظام الحكم من انقلابات ، واغتيالات ، وفساد ، وقد كان الانكشارية يحاولون باستمرار اغتنام الفرصة للاستيلاء على الحكم .

4 ـ فترة الدايات : 1671 ـ 1830م من أهم الفترات التي مرت بها الجزائر وهي مرحلة الاستقلال الحقيقي عن الدولة العثمانية ، كان للداي صلاحيات غير محدودة ، وما يميز هذا العهد هو ظهور الفساد والرشوة والفوضى في الحكم وكثرة الاغتيالات للدايات .[1]

ب – التنظيم الإداري :

قام خيرالدين باستحداث بعض التنظيمات التي تكفل قبول سكان الجزائر للحكم العثماني كما تمكنه من التصدي للأسبان حيث قسم البلاد إلى قسمين :

1 – قسم شرقي : يشمل المناطق الجبلية التي تقطنها القبائل وتمتد إلى الحدود التونسية ووضع على رأسها الشيخ أحمد بن القاضي .

2 – قسم غربي : يمتد من مدينة الجزائر إلى حدود دولة بني زيان ، ووضع على رأسه السيد محمد بن علي ، وكانت السلطة العليا لمدينة الجزائر ، وأمور الحرب والسياسة بيد خيرالدين الذي حكم البلاد ، فأسس إدارة لدراسة القوانين واللوائح وكل ما يصدر به من أوامر ، كما كون مجلسا من كبراء رجال الدولة وقادة الجيش لإدارة شؤون البلاد ، وقرب أهل البلاد إليه للتعرف على رغباتهم ومشاكلهم .[2]

وفي عهد حسن باشا تم تقسيم الجزائر إلى أربع بايلكات، وكان على رأس كل بايلك باي يعينه الداي [3].

1 – دار السلطان : وهي تمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا ومن وساحل البحر شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا ، وتضم إقليمي الساحل ومتيجة ، وتخضع

---

[1] جمال الدين سهيل ، المرجع السابق ، ص 147 .

[2] عبد المنعم الجميعي ، الدولة العثمانية والمغرب العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2007م ، ص 7 .

[3] حنيفي هلايلي، المرجع السابق ، ص 146 .

مباشرة للسلطة التركية ، وتنقسم إلى أوطان يحكمها قياد تحت إشراف آغا العرب قائد الجيش ، وكل وطن يتكون من دواوير .[1]

2 – بايلك التيطري : كان أصغر البايلكات ، ومقرها المدية أسست سنة 1540م ، وكانت الأكثر ارتباطا بالسلطة المركزية ووضع بجانب الباي حاكم يتصل مباشرة بالجزائر.[2]

3 – بايلك الشرق : وعاصمته قسنطينة وقد أسست في السنة الأخيرة من حكم حسن باشا 1567م وقد حكم الأتراك أغلب نواحيه الجبلية والصحراوية عن طريق الرؤساء المحليين .[3]

4 – بايلك الغرب : تأسس سنة 1563م وتغيرت عاصمته أكثر من مرة ، ونقلت عاصمته من مازونة إلى معسكر سنة 1710م ، ثم أصبحت وهران عاصمة له بعد تحريرها من الأسبان سنة 1792م .[4]

ـ المبحث الثاني : بنية المجتمع الجزائري العثماني :

1 ــ سكان المدن :

اتخذت النظم الاجتماعية لسكان المدن في الجزائر في العهد التركي شكلا هرميا احتلت قمته:

أ ـ الطائفة التركية : التي لا تتجاوز عددها 20 الف نسمة والتي كانت منعزلة عن بقية سكان ، وذلك لإبقاء هيمنتها على المناصب الحكومية ،[5]وقد أثرت هذه الطبقة في الحياة

---

[1] حنيفي هلايلي، المرجع السابق ، ص 146 .

[2] نفسه ، ص 147 .

[3] نفسه ، ص 146 .

[4] نفسه ، ص 146 .

[5] ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي في الجزائر في أواخر العهد العثماني 1792 م . 1830 م ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985م ، ص 42 .

الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الجزائر، وأول هذا التأثير هو ربط المجتمع الجزائري بالمجتمع العثماني .[1]

ب ـ جماعة الكراغلة : تكونت نتيجة التزاوج بين الجندي الانكشاري ونساء البلاد وقد تكاثر عدد هذه الجماعة على مر السنين بالمدن الكبرى حتى بلغوا نهاية القرن 18م في مدينة الجزائر حوالي 6 ألاف نسمة ، كما أصبحوا يكونون غالبية سكان مدينة تلمسان وأصحاب الرأي فيها ، إلا أنهم ابعدوا عن المهام الكبرى خوفا من سيطرتهم على شؤون البلاد .[2]

ج ـ طبقة الحضر : كانت تتكون من العائلات الحضرية المتأصلة بالبلاد[3] والسكان الأوائل للمدينة من العلماء والتجار، وأصحاب الحرف ، والصنائع ، والكتاب والإداريين،[4]وفرض عليهم الأتراك التبعية المطلقة فليس لأحد منهم الحق في حمل السلاح، كما أن أملاكهم معرضة للمصادرة[5] وتتكون طبقة الحضر أيضا من مهاجري الأندلس بعد تكاثر عددهم نتيجة قرارات الطرد الإجباري الذي تعرضوا له في اسبانيا سنة 1610م .

وشكل الأندلسيون عاملا ايجابيا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية ولم يطمحوا إلى ارتقاء المناصب السياسية وان كان بعض أفرادها قد تولوا مناصب القضاء والإفتاء والكتابة، والبعض الآخر كان محل ثقة واحترام الحكام .[6]

---

[1] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500م –1830م ، ج1 ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998م ، ص 149 .

[2] نفسه ، ص 43 .

[3] ناصرالدين سعيدوني ، المرجع السابق ، 44 .

[4] نفسه ، ص 155 .

[5] ج. أوهانبسترايت ، رحلة العالم الألماني ج. أوهانبسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ . 1732م ، ترجمة ناصرالدين سعيدوني ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ص 32 .

[6] المصدر نفسه ، 44 .

د ـ البرانية : بقي أفرادها ينتسبون إلى مواطنهم الأصلية التي قدموا منها قبل أن يستقروا في المدن الرئيسية ، وأغلب أفرادها كانوا يشتغلون في مهن متواضعة ، ففي مدينة الجزائر كانت تختص كل جماعة بمهنة متواضعة تشتهر بها ، فالأغواطيون اشتهروا بالتنظيف ، والبساكرة بحمل الأثقال والحراسة ، والقيام بأعمال البناء ، والزنوج بخدمة المنازل...الخ .[1]

هـ ـ الدخلاء : أحسن حالا من طبقة البرانية من حيث الأوضاع الاقتصادية ومستوى المعيشة وهم :

1 ـ اليهود : سواء من كان منهم مستقرا بالبلاد منذ القديم أو أتى إليها من اسبانيا في أوائل القرن 17م مع المهاجرين الأندلسيين [2]، وتنتهي إليها أغلب العائلات اليهودية الموسرة ورغم الاحتقار الذي يكنه السكان لليهود ، فان أغلب هؤلاء قد تحصلوا على ثروات ضخمة نتيجة ممارسة السمسرة والمراباة ، والقيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية مهما كانت بسيطة أو تافهة .

2 ـ الأوربيون : كان يعيش في مدينة الجزائر وكذلك بعض المواقع الساحلية عدد من الأوربيين [3]، يحاطون باحترام الأتراك ويكونون في حماية إحدى الدول الأوربية التي تكون في حالة سلم مع حكومة الداي[4] وينقسمون إلى فئتين :

أ ـ فئة الأحرار أو الطلقاء: التي تتكون من القناصل ،وموظفي القنصليات، والإرساليات، ووكلاء المؤسسات التجارية ، والتجار ، وقد كان عدد أفراد هذه الفئة ضئيلا جدا مقارنة بالفئات الأخرى.[5]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 45 .

[2] نفسه ، ص 46 .

[3] ارزقي شويتام ، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519 ـ 1830 م ، دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2005 ـ 2006 م ، ص 66 ـ 67 .

[4] ج. أوهانبسترايت ، المصدر السابق ، ص 34 .

[5] ارزقي شويتام ، المرجع السابق ، ص 66 .

ب ـ فئة الأسرى المسيحيين: يوجد في الجزائر عدد من الأسرى المسيحيين الذين تعود أصولهم إلى مختلف الدول الأوربية ، كما كان هناك بعض الأسرى الأمريكيين وعدد الأسرى غير مستقر فهو يختلف من فترة لأخرى وحسب طبيعة العلاقات التي تربط الدول الأوربية بالجزائر وقد وصل عددهم في القرن 10هـ/ 16م إلى 25 ألف أسير ، وارتفع في القرن 17م إلى 35 ألف أسير وتراجع في القرن 12هـ/18م نظرا لتقهقر الأسطول الجزائري .[1]

ويقول وليام سبنسر حول فئات المجتمع الجزائري " أن المواطنين الذين يقطنون خلف هذا التجمع المعتبر من الاستحكامات كانوا مجموعة من العرقيات ، ورغم ذلك فقد كانوا يعيشون منسجمين تحت الحكم العسكري التركي" .[2]

2 ـ سكان الأريــاف:

أجمعت المصادر أن سكان الأرياف خلال العهد العثماني كانوا يمثلون الأغلبية الساحقة ، وهم يعيشون في قبائل متناثرة ، ويمكن تصنيفهم حسب موقفهم من السلطة التركية إلى :

أ ـ قبائل المخزن :هي مجموعات سكانية (الكراغلة ، العبيد ، عرب الصحراء ، سكان الهضاب والجبال) لها صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية ، تشكل هذه القبائل حلقة وصل بين الأهالي في الأرياف والحكام في المدن ، وتقوم بالمشاركة في المحلات الفصلية لاستخلاص الضرائب وإيقاع العقاب بالممتنعين والمعادين لسلطة البايلك ، كما تكلف بحراسة الأبراج والحصون والخوانق الجبلية والممرات الصعبة ، ولعل أهم منطقة تركزت هي السهول الوهرانية المهددة من طرف الإسبان .[3]

---

[1] ارزقي شويتام ، المرجع السابق ، صص 67 _68 .

[2] وليام سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب : عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2006م، ص 53 .

[3] ناصرالدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، البصائر للنشر، 2014 ، الجزائر ص ص 246 _ 247

ب . قبائل الرعية :هي قبائل خاضعة مباشرة للبايلك والمقيمة بالدواوير والمداشر والقرى المنتشرة في الجهات التي تراقبها قبائل المخزن ، تعرضت هذه القبائل للاضطهاد والإكراه والقسر والاستغلال المستمر من طرف رجال البايلك ، وقد أدى الضغط المتزايد عليها إلى تفككها .[1]

ج ـ قبائل مستقلة : يسكنون الأماكن الوعرة المنحدرة وهم البرابرة الحقيقيون أو القبائل وتختلف لغتهم عن لغة العرب [2]يتحصنون في المناطق الجبلية كالأوراس والونشريس والبابور والقبائل، ونظرا لابتعاد هذه القبائل عن نفوذ الحكام وعدم اعترافهم بسلطتهم فان حكومة الداي حاولت أن تحد من استقلالهم وترغمهم على مهادنة السلطة الحاكمة .[3]

3 ـ المبحث الثالث : الواقع الثقافـي للجزائـر العثمانية

1 ـ الواقع الثقافي قبيل الوجود العثماني :

يمثل العهد الزياني المريني الحفصي ذروة الثقافة العربية الإسلامية في بلاد المغرب، ففي هذا العهد أصبح المغرب القطب والمركز ، وبتعدد الممالك والإمارات تعدد المؤرخون والتاريخ ،فلا يجب أن نذكر ابن خلدون وننسى معاصريه وان فاقهم عمقا ودراية ، بالإضافة إلى التفاعل الحضاري بين المغرب والأندلس فقد ساعدت سياسة السلاطين الزيانيين في ازدياد النفوذ الأندلسي بالمنطقة ، فأصبح تولي الحجابة (الوزارة) والوظائف الإدارية والقيام بالمهام الدينية والتعليمية من نصيب الأندلسيين [4].

ولعل المكانة الرائدة التي كانت تتمتع بها حاضرة تلمسان قد ترجع بالدرجة الأولى إلى النزعة العلمية والثقافية التي كان يتميز بها سلاطين بني زيان ، الذين كانت لهم إرادة

---

[1] ناصر الدين سعيدوني ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، المرجع السابق ، ص ص 249 _ 250 .

[2] حمدان خوجة ، المرآة ، تعريب : محمد العربي الزبيري ، منشورات ANEP ، الجزائر ، 2006م ، ص 15 .

[3] ناصر الدين سعيدوني ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، المرجع السابق ، ص 252 .

[4] حنيفي هلايلي ، " العلماء والأولياء في تلمسان الزيانية في ضوء بغية الرواد"، مجلة الحوار المتوسطي ، ع 8 ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، مارس 2015م ، ص 198 .

قوية ورغبة شديدة وجهود مستمرة امتازوا بها في ميدان الحركة الفكرية بصفة عامة ورعاية معتبرة للفنون والآداب والعلوم الشرعية على وجه الخصوص وتحرير الأفكار من الركود ، فكانوا يشرفون في بعض الأحيان على المجالس والمنابر التي تلقى فيها الدروس العلمية التي تتعلق بالعقيدة والتاريخ والعلوم العقلية الأخرى، وقد كان بعض سلاطين بني زيان علماء مثل يغمراسن مؤسس الدولة الزيانية .[1]

وقد أسهمت المدارس بتلمسان في المجال الثقافي وأحرزت نتائج قيمة على المستوى العلمي بالمجتمع الزياني، وظهرت بعض الأسر العلمية التي كان أفرادها إما أساتذة أو طلبة في المدارس توارثوا الحفاظ على استمرارية الاشتغال بالعلم اما تحصيلا أو تأليفا وان كان على درجات متفاوتة وغدت هذه الأسر من أهم الفئات الاجتماعية ، ارتقت إلى مناصب التدريس وحظيت باهتمام السلطة مثل : أسرة أولاد الإمام (ابي زيد وابو موسى).[2]

كان عدد البيوتات العلمية بمدينة تلمسان كبيرا جدا في ظل الزيانيين إلا أن أغلبها بدأت في الاختفاء منذ نهاية العصر الوسيط حتى تلاشت خلال العهد العثماني .[3]

ولم يكن التعليم متوقفا على منح الإجازات العلمية للطلبة من أجل أن يشغلوا مناصب التدريس إنما كانت الإجازة ضرورية وينتفع بها في رواية الأخبار والإنشاءات

---

[1] جلول هادي ، "الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السلطة الزيانية بها ق 8 هـ -9هـ/ 14م-15م "، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، ع 19 ، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة الشلف ، جانفي 2018م ، ص 84 .

[2] فاطمة الزهراء عمارة ، المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين 8هـ- 9 هـ/14 م -15م ، مذكرة ماستر ، قسم الحضارة الإسلامية ، جانعة وهران ، 2009 -2010م ، ص 103 .

[3] فوزية لزغم ، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي 925-1246هـ/1520- 1830م ، دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية ، قسم التاريخ ، جامعة وهران ، 2013م _2014م ، ص 316.

المتواترة ولم يتخذها أهل العلم شرطا لتولي منصب الفتيا أو التعليم ، وكانت العلوم النقلية محل اهتمام المدرسين والطلبة بالمدارس فاعتنوا بتفسير القرآن الكريم .

وكانت المساجد الجامعية أحد المرتكزات التي يقوم عليها التعليم العالي فأولتها السلطة الزيانية منذ اعتلائها الحكم جانبا من الإتمام عن طريق تجديد العمران الديني والتعليمي الموروث وهذا يندرج ضمن بناء هيكل ثقافي للدولة . [1]

ارتكزت حركة الثقافة والتعليم قبيل دخول الأتراك في الجزائر في حواضر أساسية هي تلمسان ، بجاية ، قسنطينة ، بالإضافة إلى بعض الحواضر الصغرى ، فيما لم يأخذ الريف حظه في التعليم ، ولكن ما كاد ينقضي القرن 10هـ م 16م حتى أخذت حركة التعليم منحى جديد ، فلم يعد منحصرا في الحواضر الكبرى ، وإنما انتقل إلى الريف محدثا شبه توازن بينه وبين المدينة في هذا المجال ، وقد احتلت مدينة الجزائر مركز الريادة فلم تعد عاصمة سياسية لدولة ناشئة فحسب ، بل أصبحت عاصمة ثقافية بحق، في حين تراجعت الثقافة في تلمسان ، بينما ظلت قسنطينة محافظة على مكانتها العلمية كما برزت حواضر علمية صغرى. [2]

2 ـ الواقع الثقافي للجزائر خلال العهد العثماني :

إن الثقافة في البلاد الإسلامية كانت تتركز على العلوم الدينية والتفسير والفقه والعقائد ، وامتازت الجزائر في العهد العثماني أنه أضيف إلى الثقافة المذكورة انتشار الطرق الصوفية غربي البلاد وشرقها وكان جل المنخرطين في الطرق الصوفية من حفظة القرآن الكريم وممن لهم مبادئ فقهية وعقائدية ، وكان في طليعة المثقفين بالبلاد فقهاء

[1] فاطمة الزهراء عمارة ، المرجع السابق ، ص ص17_19 .

[2] فوزية لزغم ، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518. 1830م ، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية ، الجزائر ، 2009 ، ص 61.

كانوا يتمتعون بالقيادة الروحية ويشاركهم فيها مشايخ الطرق ، وبطبيعة الحال لم يكن بينهما وفاق حيث كان الفقهاء ينكرون على المنتسبين للطرق ويتهمونهم باقتراف البدع .[1]

إن حكام الجزائر من باشاوات وأغوات ودايات ، وبايات الأقاليم ، كانوا في أغلبهم لا يعرفون اللغة العربية ولا يفقهون إلا النزر القليل مما ينشده الشعراء ، أو يتفصح به الخطباء وصارت اللغة تشكل حاجزا بين الطرفين ، وكان علماء الجزائر لا يستطيعون الوصول إلى قلوب الحكام الذين ظلوا يستعملون اللغة العثمانية أو كانوا في أغلب الأحيان غير متعلمين ، ومع ذلك ظهر بعض الحكام شجعوا الحياة الثقافية والأدبية مثل يوسف باشا الذي قرب منه العلماء ، فحظي عنده الشيخ علي الأنصاري وصار الشيخ عيسى الثعالبي بمكانة كاتبه الخاص .[2]

ولم يكن من ضمن سياسة السلطة العثمانية بالجزائر الاهتمام بالتعليم ، فقد كانت همومها حينئذ منحصرة في المحافظة على الاستقرار السياسي ، والدفاع عن الحدود وجمع الضرائب (المستحقات المخزنية)، وقد كان رجال الدولة يلتفتون أحيانا إلى المشاريع الدينية فيبنون جامعا أو كتابا لتعليم القرآن الكريم أو زاوية ثم يوقفون على ذلك أوقافا لحفظه وصيانته ، فالتعليم كان يقوم على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية .[3]

كانت الثقافة العربية الإسلامية في القرن 11ه/17م منتشرة على نطاق واسع وأن التعليم وان كان في مستوياته الأولية كان من المسلمات لدى الغالبية الساحقة من الجزائريين إذ لم يكن يوجد من لا يحسن القراءة والكتابة ، وانتشرت الكتاتيب في الأحياء والمدن والأرياف وحتى في المناطق النائية وكان للزوايا دورا أساسيا في انتشار الثقافة

---

[1] ناصرالدين سعيدوني ، المهدي البوعبدلي ، الجزائر في التاريخ(العهد العثماني)، ج 4 ، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984م ، ص 137 .

[2] محمد قرود ، الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي في القرن 11ه/17م من خلال ثلاث نماذج أحمد المقري– عيسى الثعالبي – يحي الشاوي النائلي ، مذكرة ماجيستر في التاريخ الحديث ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر2، 2009 –2010م ، ص 41 .

[3] فوزية لزغم ، الاجازات العلمية ، المرجع السابق ، ص 62 .

الدينية وتورثها للأجيال في الأرياف والمدن بل تحولت بعض المناطق إلى مراكز للثقافة في الجزائر بفضل تلك الزوايا مثل منطقة زواوة ، والتي صارت قطبا للزوايا .[1]

وتجلت الحياة الفكرية خلال القرن 17م في مظهرين علمي وأدبي

أ . المظهر العلمي : ويقصد به العلوم الشرعية ، والدينية ، والنقلية التي تعددت مجالاتها فمنها علوم القرآن متيمنين في ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " ، وعلوم الحديث المشتملة على الرواية والإثبات والإجازات إلى جانب العلوم الفقهية مثل أصول الفقه وفقه المعاملات والعبادات وعلم التوحيد أو العقيدة التي كانت الميدان الأبرز للصراع بين الفقهاء والمتصوفة وكذلك اهتموا باللغة والنحو والبيان.[2]

وقد نبغ في هذا العهد رجال أفذاذ تألق اسمهم في كامل بلاد العلم الإسلامي من أشهرهم عيسى بن محمد الثعالبي ، يحي بن صالح المليانى صاحب التأليف الشهيرة وسعيد المقري وأحمد بن عمار الجزائري وعمر ابن أحمد المنقلاتي[3] وابن الفكون الذي قال عنه ابوراس الناصر " لما دخلت قسنطينة نزلت على محط رجال الأفاضل ومنبع الفضائل والفواضل عالم تلك الدرة وعاملها وصالحها وناصحها ....العلامة السمح سيدي عبد الكريم محمد الفكون فرأيت من البلاغة والعذوبة ما يذهل من العلماء فحولها ومن أشهر أسلافه العلامة الشيخ أبي علي الحسين بن الفكون "[4]

ب . المظهر الأدبي : إن الإنتاج الأدبي والفني يحتاج إلى بيئة مشجعة لينمو وتتنوع إبداعاته ، وأهم ما يجب أن يتوفر هو الأمن والاستقرار السياسي والتشجيع والتكفل من طرف أولي الأمر ، ففي معظم الأحوال لم ينتج أدب وفن راقي في العام الإسلامي إلا

---

[1] أمحمد قرود ، المرجع السابق ، ص 31 .

[2] نفسه ، 32 .

[3] أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د. ت ، ص 75 .

[4] ابوراس الناصر ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، تحقيق : عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1982م ، ص 98 .

بتشجيع رسمي من الدولة ، لكن العثمانيين افتقدوا إلى ميزة تشجيع الحياة الأدبية وتركوا الثقافة والأدب والنثر إلى مبادرات فردية ، ولم يخل منها القرن 11هـ الذي أنجب ثلة من خيرة الكتب في الأدب والنثر خلال هذا العهد مثل أحمد المقري الذي مثل موسوعة أدبية وشرعية لكل العالم الإسلامي، لكن آفة هذه الحركة الأدبية أن أصحابها لم يكونوا في أغلبهم مستقرين في الجزائر ونضجت قرائحهم الأدبية في معاهد إسلامية أخرى . [1]

إن ابرز ما يميز الحركة الأدبية هو قلة الانتشار من جهة وقلة الاهتمام من طرف الحكام من جهة أخرى ويعود السبب إلى قلة انتشار الإنتاج الأدبي وضعف تذوقه إلى التوجه الثقافي الديني الذي كان سائدا في الجزائر ، فالعلوم الشرعية كانت تغطي كل المساحة الثقافية تقريبا أما الأدب بشعره ونثره في نظر الكثير من العلماء والفقهاء ومثقفي ذلك العصر فكان نافلة من القول والعمل ،[2]

وبذلك يمكن القول أنها تميزت بالركود والتدهور الثقافي مقارنة مع ما شهدته النهضة العلمية والصناعية في أوروبا ، ورغم ذلك فلقد شهدت الإيالة حركات تجديدية فكرية منبعثة من علماء جزائريين تركوا بصماتهم الأدبية والتعليمية في حفظ التراث الإسلامي الجزائري وفي استمرار عمران المساجد والزوايا والكتاتيب والمكتبات[3]، ونجد بعض المؤرخين يصفون الثقافة في الجزائر على عهد الأتراك على أنها رهن فراش الاحتضار تلفظ نفسها الأخير وأن بذورها استأصلتها الجائحة في أوكار الزيانيين ثم اختفت في طي النسيان إلى يوم غير معلوم والسبب في ذلك يرجع إلى ضعف الحضارة والعمران واشتغال الجزائريين بأمر معاشهم وبحثهم عن قوت يومهم وعدم استقرارهم بسبب الحروب الخارجية والثورات الداخلية ، فغير ممكن أن نحكم على شعب أنه مثقف ثقافة

---

[1] أمحمد قرود ، المرجع السابق ، ص 39 .

[2] نفسه ، ص 39 .

[3] لبنى مهدي ، صباح شريفي ، الحركة التعليمية في الجزائر العثمانية ، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2016 -2017م ، ص 8 .

متينة وملوكه خلو منها وقديما قيل الناس على دين ملوكهم فالأتراك لم يكونوا يوما دعاة ثقافة إنما كانوا رجال حرب .[1]

ويقول كورين شوفالييه : " إن أسياد مدينة الجزائر الذين لم يكن لديهم أي انشغالات دينية لم يقوموا بأي جهد لتطوير الأعمال الثقافية" .[2]

في حين يرى المهدي البوعبدلي أن مجرد الإطلاع على بعض الإجازات العلمية دليل على ازدهار بعض المعاهد بالجزائر ، والتي كانت المواد التي تدرس فيها لا تقل أهمية عن المواد التي كانت تدرس بأشهر الجامعات الإسلامية .[3]

3ــ التعليم ومؤسساته في الجزائر العثمانية :

لقد تعرضت المراكز الثقافية في الجزائر إلى الخراب والدمار منذ أواخر القرن 9 هـ/15م بعدما فشل الزيانيون والحفصيون في صد الهجمات الاسبانية عن المدن الساحلية، وتعرض العلماء للأسر والقتل والتهجير نحو الأرياف ، وانتشرت الطرق الصوفية حيث الانشغال بالعبادة والانزواء بعيدا عن الناس وانحط المستوى الفكري للتصوف وآمن الناس بكرامات الأولياء واطلاعهم على غيبيات الكون . [4]

وكانت في العهد العثماني تقوم على الكتاتيب والمدارس والمساجد والمعمرات والخلوات والزوايا التي كانت تنتشر في المدن والريف ، كانت تمول من الأوقاف التي يهبها أهل الخير والصلاح ،إلى جانب ذلك كان يوجد مايسمى بـ" الشريعة " وهي الخيمة التي تنصب في القرية لتعليم الأطفال[5] ، وكان هناك ما يسمى أيضا بالكتاب أو "المسيد"

---

[1] محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص 46 .

[2] كورين شوفالييه ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر 1510 ـ 1541 ، ترجمة جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007م ، ص 72 .

[3] فوزية لزغم ، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518. 1830م ، المرجع السابق ، ص 66 .

[4] أمحمد قرود ، المرجع السابق ، ص 31 .

[5] عبد المنعم الجميعي ، المرجع السابق ، ص 25 .

وهو تحريف لكلمة المسجد إلى جانب ذلك فقد بنى الأتراك بعض المدارس[1] . وتتميز هذه المدارس ببرامج تعليم ذات مستوى عالي تمكن الطالب الحائز على إجازة شيوخه من معرفة معمقة بالعلوم الدينية (فقه وأصول وعلم الكلام وتفسير وقراءات وتوحيد) والعلوم اللغوية (صرف ونحو وعروض وبلاغة) والمعارف العلمية (فلك حساب ومنطق وتركات) .[2]

ويقول شالر" أن مدينة الجزائر تملك كثيرا من المدارس العادية التي يتردد عليها الأطفال ابتداء من السنة الخامسة والسادسة فصاعدا حيث يتعلمون القراءة والكتابة فكل تلميذ يحمل لوحة يمكن الكتابة عليها ومحو ما كتب بسهولة وعلى هذه اللوحة يكتب بوضوح سورة من القرآن ثم يقوم بقية التلاميذ بنقلها بعناية كل على لوحته والتلميذ الذي يتعلم الكلمة وطريقة كتابتها يقوم بتعليم ذلك للتلاميذ الآخرين ويعلم الدرس بصوت مرتفع تلميذ كبير أو معلم يجلس في مكان مرتفع (سدة) وفي يده عصا يستعين بها لحفظ النظام لإثارة انتباه الطلبة ، هذا النظام التربوي لا يكلف إلا شيئا قليلا من المال والبنات يتعلمن في مدارس من نفس النوع تشرف على إدارتها نساء ".[3]

وقد كتب مارسيل ايمرت في مقال متحدثا عن الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية أن أغلب الأولاد تتراوح أعمارهم مابين السادسة والثانية عشر كانوا يتعلمون بالمدارس الابتدائية والكتاتيب القرآنية حيث كان المعلمون يتقاضون أجورهم من عند آباء التلاميذ وكان هؤلاء التلاميذ يتعلمون القراءة والكتابة وبعض مبادئ الدين واللغة .[4]

---

[1] عبد المنعم الجميعي ، المرجع السابق ، ص 25

[2] ناصر الدين سعيدوني ،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب الثلاث الجزائر – تونس – طرابلس من القرن 10هـ – 14هـ / 16م – 19م ،الحولية 31 ، قسم التاريخ ، جامعة الكويت ، 2010م ، ص 72 .

[3] وليام شالر ، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816 – 1824م ، تعريب : إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982م ، ص 82 .

[4] ناصرالدين سعيدوني ، المهدي بوعبدلي ، المرجع السابق ، ص45 .

أما التعليم الثانوي كان يتناول بالمدارس والزوايا فالزوايا تعلمهم على نفقة ربع الأحباس ، أما التعليم العالي وان لم يشمل مواده العلوم العصرية فإن مواده في العلوم الدينية كانت قوية،[1] ويلازم الطالب شيوخه سنوات طويلة أو شهور عديدة يحضر الجلسات ويشارك في الحلقات ويجمع الشارد والورد ويبرهن على الطاعة والإعجاب ، فهذا المنقلاتي يلازم السجلماسي أربعة عشر عاما .[2]

وكان الدارس إذا أتم تعلمه في بلاده يسافر بعيدا ويغترب طويلا وينزل بإحدى عواصم العالم العربي ويجالس من اشتهر من علماء العصر ويحضر دروسهم ويسعى في إجازتهم.[3]

و من أهم المقررات التي كان يتحصل فيها الطالب على إجازة التخرج يذكر على سبيل المثال في الفقه وأصوله متن وشروح رسالة أبي زيد القيرواني وحواشي مختصر خليل.

وأشهر المدارس والزوايا بالبلاد الجزائرية الجامع الكبير وكتشاوة والقشاشين وزوايا الأندلس والجامع الكبير بقسنطينة والجامع الأعظم بتلمسان والمدارس المحمدية بمازونة ومعسكر ومدرسة سيدي التواتي ببجاية بالإضافة إلى الزوايا الكبرى بالريف مثل زوايا بلاد القبائل التي كان عددها لا يقل عن 40 زاوية أهمها زاوية سيدي عبد الرحمن البلولي وسيدي محمد بوقبرين .[4]

لقد تميزت الحياة الثقافية بالطابع الإسلامي ، وكانت تعمل عملها في ضم السكان حتى يشعروا بانتمائهم لبلد واحد وأمة واحدة ، وعندما نتحدث عن الطابع الإسلامي للثقافة

---

[1] ناصرالدين سعيدوني ، المهدي بوعبدلي ، المرجع السابق ، ص 45 .

[2] مولاي بالحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص 33 .

[3] نفسه ، ص 10 .

[4] ناصر الدين سعيدوني ،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب الثلاث الجزائر – تونس – طرابلس من القرن 10هـ – 14هـ / 16م – 19م ،المرجع السابق ، ص 73 .

فليس المقصود المحتوى الديني لهذه الثقافة فقط ، ولكن المقصود أيضا هو المحتوى الحضاري بما فيه تعليم وتنظيم ثقافي وقضائي وعلاقات اجتماعية وفكرية ، وإذا لاحظنا أن الأتراك لم تكن لهم عناية بالثقافة كعنايتهم بالحرب أدركنا أن هذا الرقي وهذا الازدهار الثقافي حققه الجزائريون بأنفسهم مدفوعين بذلك بدافع شعوري منبثق من أعماق الشعب.[1]

[1] مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج3 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، 1964م ، ص ص 317 -318.

الفصل الثاني

الهجرات الأندلسية إلى الجزائر وإسهاماتها الحضارية

ـ المبحث الأول : الهجرات الأندلسية إلى الجزائر

ـ المبحث الثاني : أشهر العائلات الأندلسية ومواطن استقرارها

ـ المبحث الثالث : الإسهامات الأندلسية في المجالات العلمية والفنية

ـ المبحث الرابع : التواصل الاجتماعي بين الأندلسيين والسكان المحليين

المبحث الأول : الهجرات الأندلسية إلى الجزائر :

تعتبر محنة المسلمين في الأندلس من أكبر المحن في تاريخ الإنسانية حيث سعت اسبانيا لإقتلاع الوجود الإسلامي في الأندلس عن طريق التنصير القصري وقرارات محاكم التفتيش لتنتهي هذه المأساة إلى الطرد النهائي للموريسكيين إلى العالم الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة الذي استقطب الأندلسيين بمختلف طبقاتهم خاصة ذوي الكفاءات والنخبة من علماء وحرفيين الذين كان لهم دور كبير في تطوير الجزائر وازدهارها .[1]

1 ـ أسباب الهجرة إلى الجزائــر :

من الأسباب القوية التي دفعت الأندلسيين إلى اختيار الجزائر والاستقرار فيها مايلي :

1 – زوال الحكم الإسلامي وانتقال المسلمين من حكام إلى محكومين من قبل النصارى وبالتالي لم تعد اسبانيا دار مقام .

2 – تمادي حكام الأسبان في التنكيل بالمسلمين والتفنن في تعذيبهم والاعتداء على حرماتهم وجرح كراماتهم لإجبارهم على ترك دينهم الإسلامي وإكراههم على اعتناق النصرانية .

3 – صدور عدد من الفتاوى بالمغرب والأندلس تتعلق بموضوع الهجرة ، وقد أجاز بعض علماء المالكية بوجوب الهجرة من أرض الكفر وأصبحت الهجرة إلى دار الإسلام واجبة حتى لا يفتنون في دينهم .[2]

[1] عبد المجيد قدور ، " الهجرة الأندلسية إلى المغرب ا لإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج "، مجلة العلوم الإنسانية ، ع 20 ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، ديسمبر 2003م ، ص 171 .

[2] منصور درقاوي ، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر مابين 10هـ – 13هـ/16م – 19م بين التأثير والتأثر ، رسالة ماجيستر ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة وهران ، 2014 – 2015م ، ص ص 23 – 24 .

4 – الاعتداء الجسدي والتعذيب المعنوي يفوق كل الوصف عن طريق محاكم التحقيق ، حيث جندت لهم جيوش من القساوسة والرهبان الذين تفننوا في تعذيبهم .

كان اختيار الأندلسيين للجزائر والإقبال عليها ليس على مبدأ الصدفة ، وإنما للعلاقة المتينة بين البلدين لدرجة أن حكام الجزائر وسكانها منذ قدوم الأتراك يعتبرون أن قضية الأندلس هي قضيتهم .[1]

2 – مراحل الهجرات الأندلسية :

عرف الوجود الأندلسي بالجزائر ثلاث مراحل متميزة:

. المرحلة الأولى : استغرقت الفترة الإسلامية المتقدمة، من القرن الثاني الهجري،الثامن الميلادي ارتبط فيها استقرار العناصر الأندلسية بالنشاط التجاري خاصة ، وكان نتيجة الصلات الوثيقة بين الأندلس الإسلامية والمغرب الأوسط وقد ساهم الأندلسيون في هذه المرحلة في إنشاء أو تجديد عمران العديد من المراكز الساحلية بالمغرب الأوسط وخاصة أثناء القرنين التاسع والعاشر ميلادي مثل وهران وتنس وبرشك وهنين وغيرها .[2]

. المرحلة الثانية : بدأت في منتصف القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي مع حكم المرابطين للمغرب والأندلس واستغرقت فترة الموحدين والدول الإقليمية التي ورثتهم واستمرت حتى انتهاء الحكم الإسلامي بالأندلس بسقوط غرناطة بيد الأسبان، وقد تزايد نزوح الأندلسيين في هذه المرحلة مع سقوط الحواضر الإسلامية الكبرى بالأندلس مثل قرطبة 1236م ، وبلنسية 1238م ، ومرسية 1243م ، وجيان 1248م ، واشبيلية1248م ، فتوجه أغلب النازحين إلى مدن بجاية وتلمسان وعنابة ووهران وهنين وتنس وغيرها، [3]وقد أصبحت كل من بجاية وتلمسان بفعل هذا النزوح

---

[1] منصور الدرقاوي ، المرجع السبق ، ص 24 .

[2] ناصرالدين سعيدوني ، دراسات أندلسية (مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر) ، ط2 ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، 2013م ، ص 37 .[2]

[3] نفسه ، ص 37 .

الذي كان في مقدمته رجال العلم، وأهل الصلاح وذوي الثروة والجاه، مراكز إشعاع علمي ونشاط اقتصادي متميزا فلم تنافسهما في ذلك سوى مدينة تونس عاصمة الحفصيين ومدينة فاس قاعدة المرينيين .[1]

. المرحلة الثالثة : تبتدئ مع نهاية القرن التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي، وتستمر إلى مستهل القرن الحادي عشر الهجري، أواخر القرن السابع عشر الميلادي، وقد اتخذت الهجرة الأندلسية في هذه المرحلة طابع نزوح جماعي مع قرارات التنصير القصري والطرد الإجباري التي أصدرها فيليب الثاني الإسباني بهدف القضاء نهائيا على العنصر الإسلامي باسبانيا.[2]

وحسب ماجاء في مذكرات خيرالدين " كان الأسبان يقومون بمظالم كبيرة في حق المسلمين الذين كان الكثير منهم يعبدون الله سرا في مساجد سرية قاموا ببنائها تحت الأرض ، لقد دمر الأسبان وأحرقوا جميع المساجد ، وصاروا كلما عثروا على مسلم صائم أو قائم إلا وعرضوه وأولاده للعذاب والإحراق ، خلال ذلك قمنا بحمل عدد كبير من المسلمين في السفن وإنقاذهم من أيدي الكفار ونقلهم إلى الجزائر وتونس ." [3]

فغادرت أعداد ضخمة من المزارعين والصناع والتجار من بقايا المسلمين مواطنها الأصلية باسبانيا، وتوزعت على سواحل بلاد المغرب العربي، وكان لمقاطعة الجزائر المركزية المعروفة بدار السلطان والممتدة من دلس إلى تنس ومن البحر إلى البليدة نصيب وافر من هذه الهجرة لتعاطف الحكام العثمانيين بالجزائر مع المهجرين، وذلك لقلة سكان المنطقة مع توفره على إمكانيات اقتصادية مساعدة على الاستقرار وخدمة الأرض[4].

---

[1] ناصرالدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، المرجع السابق ، ص 38 .

[2] نفسه ، ص 38 .

[3] خيرالدين بربروس ، المصدر السابق ، ص 54 .

[4] ناصرالدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، المرجع السابق ، ص 38 .

المبحث الثاني :أشهر العائلات الأندلسية ومواطن استقرارها :

1 – أشهر العائـــلات الأندلسية بالجـــزائر :

هاجر إلى الجزائر عدد كبير من العائلات الأندلسية ، وكان لكل عائلة تأثير مختلف وفي مختلف المجالات ، ومن أشهر العائلات المستقرة بالجزائر عائلة الحاج أحمد المقايسي بن فاضل بن يحي الأندلسي ، وهي من أشهر العائلات الصانعة للحلي ، بالإضافة الى عائلات أخرى مثل ابن النيكرو ، وابن زوان ، ابن الكبابطي ، عائلة الشريف الزهار [1]، وعائلة كلاطو الأندلسية التي كانت من العائلات الكبيرة ذات النفوذ بالمدينة ، سيطرت على ثلاث مجالات في غاية الأهمية وهي الحدادة ، والخياطة ، والعطارة ، فمحمد كلاطو كان حدادا ، ووجه ابنه علي إلى الخياطة ، وابنه عبد الرحمن إلى العطارة [2].

وهناك عائلات أخرى ارتبط اسمها ولقبها بالحرفة أو الصناعة التي تمتهنها مثل عائلة الحوكي نسبة إلى حرفة الحياكة ، مثل ابن محمد الأندلسي الحوكي ، وصانع الشواشي الحاج علي بن الحسن الأندلسي ، والعطار أحمد الأندلسي ، وصانع الصابون علي عمر الأندلسي وكذلك الخياط يحي .....الخ .

كما ارتبطت بعض العائلات من علماء ومثقفين بعدة مناصب في الدولة مثل منصب وكالة أوقاف الحرمين الشريفين لفترة من الزمن مثل عائلة ابن القاضل من سنة 1655م إلى غاية 1753م .[3]

---

[1] محمد قموز ، مهدية طيبي ، خالد زوراولة ، الهجرة الأندلسية وأثرها على المغرب الأوسط من القرن 16م إلى 19م ، قسم التاريخ ، جامعة الجيلالي بونعامة ، خميس مليانة ، 2016م- 2017م ، ص ص 42 – 43 .

[2] عائشة غطاس ، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700 – 1830م ، أطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2000 – 2001م ، ص 164 .

[3] محمد قموزوآخرون ، المرجع السابق ، ص 43 .

كما صاحب الهجرة قدوم جماعات من اليهود ، شكلت طبقة مهمة في المدن الرئيسية مثل تلمسان ، والجزائر ، قدرت مابين 20 ألف و 30 ألف بكافة بلاد الجزائر ، منهم 10 ألاف بمدينة الجزائر ، ونجحوا في تبوء مكانة متميزة بفضل الصنائع والأعمال التجارية التي كانوا يتقنونها ، وهذا ما مكنهم من المحافظة على وضعهم الاجتماعي وذلك بإنشاء حومة خاصة بهم تعرف بحومة اليهود .[1]

2 – مواطن استقـــــرار العائلات الأندلسية بالجـــزائر :

أصبحت مقاطعة الجزائر (دار السلطان) موطن استقرار للعناصر الأندلسية الموريسكية التي استقرت بالمدن وفحوصها وانتشرت في الأرياف القريبة منها ، فمدينة الجزائر تحولت بفعل الهجرات المتتالية إلى بيئة يغلب عليها الطابع الأندلسي ، وقد ساعدها على ذلك قلة سكانها ، وارتفع عدد المهاجرين إلى ألفين عائلة أي مايقدر بـ 25000 نسمة[2]، وقد سكنوا الكثير من أحيائها ، ومن أشهر هذه الأحياء حي الطقارة[3] الذي بناه الأندلسيون الوافدين من فالنسيا ، وأراجونا ، كتالونيا ، وكذلك الحال بالنسبة إلى حي الأبيار ، وبئر خادم .[4]

كما توافدت على مدينة شرشال بعد سقوط غرناطة سنة 1492م حوالي ألفين ومئتي عائلة أندلسية ، وأعادوا بناء البلاد[5] ويؤكد هذا حسن الوزان بقوله: " بقيت خالية من السكان زهاء 300 سنة حتى سقوط غرناطة في أيدي المسيحيين فقصدها الغرناطيون اذ ذاك وأعادوا بناء عدد من دورها وجددوا القلعة ووزعوا الأراضي فيما بينهم ثم صنعوا كثيرا

[1] محمد قموز وآخرون ، المرجع السابق ، ص ص 46 _ 47 .

[2] ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، المرجع السابق ، ص 41 .

[3] طقارة : أو حي الثغريين هو مكان استقر به الأندلسيون الذين هاجروا من الثغور ، وهي المناطق الواقعة بين المقاطعات المسيحية والإسلامية بالأندلس

[4] محمد قموز وآخرون ، المرجع السابق ، ص 37 .

[5] نفسه ، ص 38 .

السفن للملاحة واستغلوا صناعة الحرير إذ وجد هنالك كمية لا تحصى من أشجار التوت الأبيض والأسود فعاشوا في رخاء دائم حتى أصبحوا يسكنون في 1200 بيت "[1]

أما بالنسبة لمدينة وهران التي تعد أقرب المناطق الساحلية إلى الأندلس ، فقد نالت نصيبا كبيرا من الموريسكيين الفارين من اسبانيا ، بحيث نزل بها يوم 17 أكتوبر 1609م حوالي 22 ألف مهاجر ، ضاقت بهم شوارع وهران مما اضطرهم إلى التوجه للمدن المجاورة ، فهاجر منه 5 ألاف إلى تلمسان ، و4 ألاف إلى مستغانم[2].

ومدينة القل توافد عليها عدد من المهاجرين من بلنسية إلى تونس ثم بجاية ، وبعدها خرج العديد من العائلات واستقروا بالقل ودلس حاليا ، حيث استقرت بها حوالي 300 عائلة ، وكان لهم دور كبير في تطوير القل فغرسوا أشجار الفواكه خاصة الليمون، والبرتقال ، وتربية دودة القز .[3]

وكذلك بالنسبة لمدينة البليدة التي تأسست على يد سيدي أحمد الكبير سنة 942هـ / 1535م بمحاذاة مدينة خزرونة القديمة ، بعد أن اقتطع خيرالدين بربروس أراضيها للأندلسيين الذين بادروا ببناء حمام ، ومخبزة ، ومسجد لا زال يعرف بها حتى اليوم بجامع الترك [4].

وفيما يخص تلمسان فرغم انشغال ملوكها بالنزاعات والفتن الداخلية إلا أن الأندلسيين استقروا بها ، وجلب معهم عاداتهم وتقاليدهم في كافة المجالات حتى التعليمية.[5]

---

[1] حسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج2 ، ترجمة : محمد حجي ، محمد الأخضر ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983م ، ص 34 .

[2] محمد قموز وآخرون ، المرجع السابق ، ص 38 .

[3] نفسه ، ص ص 38 _ 39 .

[4] ناصرالدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، المرجع السابق ، ص 19 .

[5] محمد قموز وآخرون ، المرجع السابق ، ص 39 .

وبجاية أصبحت محطة للأندلسيين الذين أصبحوا يشكلون جزءا كبيرا من سكانها ، وكان أغلبهم من الفقهاء ورجال الدين ، بالإضافة الى المدن الأخرى مثل أرزيو، مستغانم ، قلعة بني راشد ، مازونة ، ندرومة ، جيجل ، قسنطينة ، عنابة ، القالة، مليانة اقليم متيجة ، والساحل الغربي منها ، عنابة ....الخ .[1]

المبحث الثالث : الإسهامات الأندلسية العلمية والفنية

1ـ الإسهـــامـات العلمية :

أ ـ التعـليم :

وجد علماء الأندلس بالجزائر تهافت المتعلمين إلى حد جعلهم يحتكرون مهنة التعليم وحدهم لما لهم من جاذبية وحسن معاملة المتعلمين على أيديهم ،كل ذلك جعل الصبيان يقبلون على التعليم عن رضى واستحسان مما ساعد على انتشار التعليم وازدهار الحياة الثقافية .[2]

نقل الأندلسيون طريقتهم الخاصة بالتعليم إلى الحواضر، ومن ذلك عدم الاقتصار في تعليم الأطفال على حفظ القرآن الكريم كما كان الحال قبلهم بل أضافوا إليه تعليم الحديث والقواعد العامة لمختلف العلوم وتدارس بعضها ، كما علموا روايات القرآن وأنواع قرأته .[3]

كان منهجهم يتم بتعليم الطفل القراءة والكتابة ثم النحو واللغة والحساب ثم ينتقل إلى دراسة المنطق وعلوم الطبيعة ثم العلوم الشرعية ، حيث يقدم الأندلسيون تعليم العربية

[1] محمد قموز وآخرون ، المرجع السابق ، ص 39 .

[2] المرجع السابق ، ص 177 .عبد المجيد قدور ،

[3] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 47 .

والشعر والتي تعد وسيلة الاكتتاب على العلوم الأخرى ، فأصبحت متبعة في منهاج التعليم بالجزائر .[1]

وقاموا بتطوير طريقة التدريس وأساليب تلقي المعلومات فتجاوزا الطريقة التقليدية المقتصرة على تحفيظ القرآن الكريم ورواية الحديث ، إنما تهتم بالبحث ، والتفكير، وإلقاء الأسئلة ، والمحاورة ، والمذاكرة ، بهدف إفهام الطالب ، وترسيخ المعلومات في ذهنه ، فكانت هذه الطريقة تميل إلى الاستنتاج والتحليل . [2]

وكان التعليم في هذه المدارس على مستوى راق لأن الأندلسيين عرفوا بإجادة فن التدريس وحسن التربية ومراعاة التطور العقلي للتلاميذ .[3]

أما التعليم العالي فقد كان يعطى في المساجد والزوايا ودور العلماء ومجالس المناظرة وكان يعهد به إلى كبار العلماء ، وبالإضافة إلى هذه الأماكن العامة كانت السلطة تعين للمدارس كبار العلماء الأندلسيين وتجري عليهم المرتبات وكان يعتمد في أغلب الأحيان على النقل والرواية لا على الرأي والاجتهاد .[4]

وتبرز مساهمة ذوي الصلاح والعلم بين الجماعة الأندلسية الموريسكية في مقاطعة الجزائر فيما أسسوه من زوايا وما أنشاؤه من معاهد العلم ذات المستوى العالي والتي كانت مقصد الطلاب من مختلف الجهات لتتلقى العلوم اللغوية والدينية والتقليدية وبعض المعارف العصرية كالحساب والفلك والمنطق والطبيعة والتاريخ وغيرها حسبما يفهم من العديد من إجازات إنهاء الدروس بهذه المعاهد .[5]

---

[1] عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني 633هـ_ 962هـ / 1235م _ 1554م ، مذكرة ماجيستر في التاريخ الإسلامي ، قسم التاريخ ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 2007 ـ 2008م ، ص 124 .

[2] محمد قموزوآخرون ، المرجع السابق ، ص57 . .

[3] أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، المرجع السابق ، ص 282 .

[4] نفسه ، ص 47 .

[5] ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، المرجع السابق ، ص 57 .

ومن أشهر هذه الزوايا والمعاهد الأندلسية:

1. زاوية أهل الأندلس بمدينة الجزائر : وهي ملحقة بالمسجد الذي أقامه بعض صلحاء الأندلس بحي مسيد العدالية بمدينة الجزائر ، وقد ظلت الزوايا منذ إنشائها سنة 1639م مقصد العديد من الطلبة ولم تتوقف عن مهمتها التعليمية حتى تعرضت للإهمال وتهدم قسم منها في السنوات الأولى للاحتلال ، وقد اشتهر من رجالاتها الذين كانوا يشرفون على مختلف الخدمات الاجتماعية والثقافية بها حسب وثائق المحاكم الجزائرية كل من محمد بن علي الأندلسي وعلي بن علي الأندلسي والحاج أحمد بن قاسم ويوسف بن سلمان ، وابن الحاج أحمد بن جعفر وغيرهم كثيرون .[1]

فقد عمل هؤلاء الفقهاء والوكلاء والنظار الأندلسيين على رعاية الأوقاف العديدة للأندلسيين وتنمية مداخلها داخل وخارج مدينة الجزائر .

2. زاوية سيدي أحمد الكبير الأندلسي بالبليدة: التي تخرجت منها أفواج عديدة من طلبة العلم أغلبهم من نواحي متيجة وجهات الأطلس البليدي وخاصة من بني صالح وبني خليل .[2]

3. زاوية سيدي علي بن مبارك بالقليعة : ظلت منذ تأسيسها على يد الولي الذي تنتسب اليه في أوائل القرن 17م تقدم التعليم وتوفر الإيواء للطلبة خاصة وهذا ما أكسبها مكانة خاصة بين السكان في تلك الجهات ، وجعلها ملجأ للهاربين من بطش الحكام .[3]

هذا بالإضافة إلى الزوايا الأخرى التي عمل بها الأندلسيون والتي كانت تعلم القرآن ومبادئ اللغة والفقه بأوطان بني جعاد وبني خليل وسماته وقرومة ، كما ساهم الأندلسيون أيضا في نشاط الزوايا الكبرى ببلاد القبائل مثل زاوية الشيخ محمد

---

[1] ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، المرجع السابق ، ص 56 .

[2] نفسه ، ص 56 .

[3] نفسه ، ص ص 56 _ 57 .

التواتيبجاية وزاوية سيدي عبد الرحمن بن سعيد اليلولي (ت 1105هـ . 1694م) حيث كانت مقصد الفقهاء الأندلسيين وملجأ الصالحين منهم .[1]

ومن المعروف أنهم برعوا في الكثير من العلوم كمجال الطب، الذي كان متدهورا في الجزائر ، فنقلوا خبرتهم في مجال الطب والجراحة فمنهم الطبيب المدعو خابيير ذي الأصول البلنسية والجراح غارسيا الذي هاجر من طليطلة إلى الجزائر .

أما الفقه فنجد ابن علي القلصادي ومن مؤلفاته كتاب أشرف المسالك إلى مذهب مالك وشرح مختصر خليل وكذلك الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد القرشي وغيرهم من الفقهاء.[2]

ومنه فإن أغلب العلماء الأندلسيين كانوا موسوعي الثقافة ، متنوعي الاختصاصات ، فالعالم بالمنطق له معرفة بمسائل الفقه ، والمتضلع في الفنون الأدبية له مشاركة في التاريخ ، والعارف بالرياضيات ومسائل الطب له اطلاع على العلوم الشرعية .

ب- اللغة :

نشر الأندلسيون في الوسط الحضري بالجزائر لهجتهم التي كانت شائعة بغرناطة وهي تتميز بمفرداتها اللطيفة وعبارتها الرقيقة والتي غالبا ما ينطق القاف فيها ألفا مثل : **أهوة** بدل **قهوة**و**أرابة** بدل **قرابة** ، وقد استطاعوا منذ أواخر القرن 15م نشر اللسان العربي الدارج في المناطق الجبلية القريبة من شرشال والبليدة في مناطق الشنوة وبني مناصر وبني صالح وغيرها .

هذا وقد عملوا على شيوع لغة **الفرنكا** في مدينة الجزائر خاصة التي تغلب عليها الكلمات الاسبانية وذلك لأن العديد من العائلات الموريسكية في القرن 16م تميل

[1] ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، المرجع السابق ، ص 57 .

[2] محمد قموزوآخرون ، المرجع السابق ، ص 62 .

إلىاستعمال القشتالية (اللغة الاسبانية) وقد ظلت كذلك لفترة طويلة وهذا ما أكده الرحالة ورجال الدين الأوربيين أمثال : لوجي دي تاسي، والطبيب شاو وفاليار[1] .

ج – المكتبات :

مع ضغط الاسبان على أهل الأندلس كثرت هجرة الكتب إلى الجزائر مع هجرة أهلها ، فقد روى التمغروطي في أواخر القرن 10هـ /16م "أن مدينة الجزائر كانت كثيرة الكتب وأنه لا يضاهيها بلد في ذلك من بلدان افريقية لاسيما كتب الأندلس " [2]

وقد برز التأثير الأندلسي في طرق الكتابة ورسم الخط وتأليف الكتب ، حيث أصبح النموذج الذي يحتذى به[3]وقد تغلب على الخطوط الأخرى وهو المعروف اليوم بالخط المغربي .[4]

د – الوقف :

أسس الأندلسيون بتشجيع من السلطة التي كانت تتعاطف معهم عدة مؤسسات خيرية كانوا يهدفون من ورائها إلى التضامن فيما بينهم من جهة والى خدمة فقرائهم من جهة أخرى ، وقد أشرفت هذه المؤسسات على إقامة مسجد وزاوية ومدرسة خاصة بهم ، حيث اشتروا دارا كبيرة وحولوها بالبناء والإصلاح إلى مدرسة ومسجد وأوقف أعيانهم على تلك الأوقاف التي بلغت حسب بعض الإحصاءات 60 مؤسسة وقف ، وقد عينوا على ذلك وكيلا الشيخ محمد الآبلي ، ومما يلاحظ أن كثيرا من الأوقاف كانت مشتركة بين الحرمين الشريفين والأندلس أو مع الجامع الأعظم بالعاصمة ، وكان بعض الأندلسيون

[1] ناصرالدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، المرجع السابق ، ص 53 .

[2] ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 286 .

[3] عبد القادر بوحسون ، المرجع السابق ، ص 125 .

[4] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 290 .

يعين على أوقاف حنفية عثمانية مثل حميدة الأندلسي الذي كان عضوا في لجنة إدارة سبل الخيرات وسليمان الكبابطي الذي عينه خضر باشا على أوقاف جامعه [1]

وبذلك احتلت أوقاف الأندلسيين المرتبة الرابعة من حيث أهمية عدد أوقافها وعوائدها التي تأتي بعد أوقاف الحرمين الشريفين وأوقاف الجامع الأعظم وأوقاف سبل الخيرات.[2]

2 ـ الإسهامات الـفنية :

أ ـ المـوسيقى :

غلب الطابع الأندلسي على الموسيقى والغناء في الجزائر ، خصوصا في المدن واستعملوا مختلف الآلات الوترية كالعود ، والقانون ، وتفننوا في الآلات الإيقاعية كالطبل ، والصنوج .

ويقوم الفن الغنائي بالحواضر عامة مثل الموشحات[3]الأندلسية ، بموسيقاه الخاصة (النوبات) وبقصائده التقليدية (المولوديات والاخوانيات والحكم والغزل ووصف الطبيعة والتوبة) ، وقد حافظت على هذا الفن الغنائي الأندلسي المعروف بالمالوف[4] العائلات الحضرية من أصل أندلسي ، واشتهرت به الأجواق الأندلسية بتلمسان، ومازونة، وشرشال

---

[1] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 240 .

[2] محمد قموز وآخرون ، المرجع السابق ، ص 51 .

[3] الموشحات :هي شكل من أشكال الشعر ، ابتكره أهل الأندلس لرغبتهم في التجديد والخروج عن نظام القصيدة التقليدية ، ارتبطت الموشحات بالموسيقى والغناء واستعمال اللغة الدارجة والأعجمية ، انظر ندى قدومي ،" الموشحات ، تاريخ التصفح 20 /05/ 2019م .https://mawdoo3.com

[4] **المالوف** : يطلق على الموسيقى الكلاسيكية بالمغرب العربي بقسميه الدنيوي والديني المتصل بمدائح الطرق الصوفية ، نشأ بالأندلس ولم يمتد الى المشرق ومصر ، استقر ببلاد لمغرب العربي ، انظر : فتحي العابد ،" المالوف التونسي"، http://www.diwanalarab.com/spip.php?article38059، تاريخ التصفح 20 /2019/05م .

، والجزائر ، والبليدة ، وقسنطينة ، واشتهر بتنظيم وتلحين المالوف الأندلسي الجزائري كل من أحمد التريكي (11هـ . 17م) ، ومحمد بن مسايب التلمساني 1190هـ _1776م .[1]

وقد اشتهر ابو العباس أحمد بن عمار الجزائري الأندلسي الأصل مفتي المالكية في "المولوديات" قصائد المدح والتي اختصت بمدح النبي عليه الصلاة والسلام وكذلك اشتهر في المدح العالم الفقيه الأندلسي محمد بن الشاهد .[2]

واعترى الموشحات ضعف البناء اللغوي وتراجع في المستوى الشعري فغلبت على مقاطعها الدارجة أو العامية ودخلتها تعبيرات لغة الفرانكا، إلا أنها ظلت وفية لتقاليد الموريسكيين الذين عبروا من خلالها عن أحاسيسهم وحنينهم إلى وطنهم الأصلي [3].

تعتبر الموسيقى الحضرية أو الأندلسية أكثر تنوعا وتنغيما من موسيقى البدو، ومعظم أنغامها حية وتعزف بعدة آلات ، والعزف يتم من الذاكرة وليس من نوطه يتعلمها العازفون ، كما أنها قد بلغت من التعدد والتنوع أن أصبحت لها الفرق الضخمة البالغة 20 أو 30 عازفا ، وكان العزف يطول ولكن السامعين يظلون طول الليل يستمتعون دون أن يحدث خلال ذلك ضجة أو هرج ، أما آلاتها : الرباب ذو الوترين والذي لا يلامس القوس ، العود الذي يحتوي على أوتار أكثر من أوتار الرباب وأحجام مختلفة من القيتار، وأدخل الحضر الصنج على الطار البدوي فتنوعت أنغامه بتعدد ضرباته .[4]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية ، المرجع السابق ، ص ص 89 _90 .

[2] ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، المرجع السابق ، ص 58 .

[3] نفسه ، ص 57 .

[4] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500 _ 1830م ، ج2 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998م ، ص ص 442 _443 .

ب ـ اللباس :

أصبح اهتمام المرأة الجزائرية منصبا على زي المرأة الأندلسية ، وطريقة لبسها وتتمثل في الخصوص في السروال الأبيض الذي يستر أسفل جسمها والحايك الذي يلفها من الرأس إلى القدم ، النقاب للوجه والقميص المصنوع من الكتان أو القطن ، جبة الصوف أو القطن والقبعة ، القبقاب الخشبي العالي المطعم بالعاج والصدف والأسلاك المعدنية الذي يلبس في الحمام والخف المنحني ، الغلالة من الصوف أو الحرير.[1]

1 . الصرمة : وقد لبستها المرأة الجزائرية وزينتها بالجواهر والحواشي الحريرية ، استطاع الأندلسيون أن يغيروا حياة الجزائريين من البساطة إلى الترف وذلك بلبس الحرير على أنواعه كما تفننوا في خياطة أنواع الأقمشة الفاخرة .[2]

2 . الجبة أو الدرعة : كانت موجودة في الفترة العباسية وانتقلت إلى الأندلس ثم إلى الجزائر وتطورت فأصبحت تعرف بالقندورة[3] وهي ذات أكمام واسعة مطرزة بالشبيكة الفضية والذهبية على شكل صفين متوازيين تلتصق بها الأقفال الذهبية وهي عادة تشد على الجسم بأحزمة حريرية مطرزة ومرصعة بقطع الذهب الخالص بحيث تزيد في جمال المرأة[4].

3 . الملحقة : مصنوعة من قطعة واحدة من القماش بدون خياطة تشد بمشبكين في الكتفين ، ظهرت عن فتوحات المرابطين للأندلس لبستها الأندلسية وأحضروها معهم إلى الجزائر [5].

---

[1] شريفة طبان ، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني ، رسالة ماجيستر في الأثار الإسلامية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1990 – 1991م ، ص 21 .

[2] نفسه ، ص 21 .

[3] نفسه ، ص 21.

[4] ناصرالدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، المرجع السابق ، ص 54 .

[5] شريفة طبان ، المرجع السابق ، ص 28 .

من عادة المرأة الأندلسية أنها عندما تحرج تضع سروال الزنقة فوق سروال البيت إذ تمدده من الركبة بواسطة كميمات يصل طولها أحيانا إلى مترين ، وهذا السروال متداول بصورة كبيرة في مدينتي الجزائر وشرشال حيث كانت تعتني كثيرا بملابسها . [1]

جـــ العادات والتقاليد :

حافظ الأندلسيون على تقاليدهم الخاصة سواء في المعاملات أو في الأفراح وطرق الطهي ونوعية اللباس والأكل ، كما حافظوا على مظاهر مميزة للاحتفال بالأعياد والمواسم الدينية مثل المولد الشريف وليلة القدر وعاشوراء وعيد الأضحى وعيد الفطر فقد كانوا يحرصون على ترديد الأناشيد والقصائد والمدائح الدينية في هذه المواسم الدينية كما كانوا مولعين بالغناء وعزف الموسيقى في الأفراح عند الولادة والختان والخطبة والزفاف وأثناء ذلك كنت تقدم مختلف أنواع الأطعمة والحلويات التي امتزجت فيها التقاليد الأندلسية بالأذواق التركية والعربية والأوربية وكانت ذات ذوق أندلسي،[2]

أما بالنسبة للزواج فقد تأثر الجزائريون بعادات وتقاليد الأندلسيين ففي شرشال مثلا كان الزواج يمر بعدة مراحل ، أولا الخطبة ثم ربط الحناء فتتجه النساء إلى بيت العروس يحملن طبق فيه حناء وشمع ، وخاتم ، وحايك ، وصباط ، أما المرحلة الثالثة والأخيرة فتكون عند القاضي حيث يعقد الزواج بحضور الشهود ، وبعدها تقرأ الفاتحة ثم توزع الشاربات والحلويات ، وأهم ميزة توارثها الشرشاليون خاصة والجزائريون عامة هو تقديم الخاطب لمخطوبته الهدايا في الأعياد والمناسبات الدينية ، أما المرأة فتقوم بإرسال الحلوى إلى خاطبها في هذه الأعياد والمناسبات وتكون من صنعها [3].

---

[1] شريفة طبان ، المرجع السابق ، ص 22 .

[2] ناصرالدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، المرجع السابق ، ص 56 .

[3] محمد قموز وآخرون ، المرجع السابق ، صص 49 _ 50 .

دـ العـــمران :

تمكن الأندلسيون الذين حلو بمناطق الجزائر كالبليدة وشرشال ، الجزائر ،ومازونة وعنابة وتلمسان ...الخ ، من إدخال نمط العمارة الأندلسية إليها ، فأصبح فن العمران الأندلسي شائع في المناطق التي أقاموا بها ، وكان يختلف اختلافا كبيرا عن الطابع الجزائري سواء من حيث الشكل ، أو طريقة البناء ، والتزيين .[1]

فالمنازل أغلبها تتألف من طابق أرضي يعتمد على أعمدة خشبية ومقام بالآجر والطين المعالج ، وقد تستعمل فيه الحجارة كما هو الحال في منازل دلس وشرشال ، وتفتح بيوته المستطيلة التي تنعدم فيها التهوية الخارجية على فناء صغير، تحف به الأقواس ولا تخلو وسطه من عين ماء أو بئر خاص وبعض أشجار الليمون والبرتقال والكرمة ، هذا وفي بعض الأحيان يضاف للطابق الأرضي طابق آخر علوي كمان هو الشأن بمدينة الجزائر والجزء العلوي للبليدة القريب من الجبل ، وهو في الغالب مكان للراحة ، وتوجد في بعض المنازل نوافذ تطل على الأزقة وهي غالبا ما تكون صغيرة محمية بالشبابيك التي تخفي الزخارف والنقوش التي تغطي الجدران والسقوف ، وقد تغطي كذلك أرضية الغرف بالزليج ، والأشكال الهندسية اللطيفة في بعض المنازل .[2]

وتميز المنظر الخارجي للمنازل بطلائه الأبيض الناصع بمادة الجير الذي اشتهرت به مدينة الجزائر التي عرفت ببلد الجير[3] .

فاستطاعوا إدخال القرميد الأجوف الأحمر اللون أو المائل إلى الزرقة إلى العمارة الجزائرية لتغطية أسقف البنايات بدل السطوح التي كانت سائدة قبل مجيئهم .[4]

---

[1] محمد قموز وآخرون ، المرجع السابق ، ص 63 .

[2] ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، المرجع السابق ، ص 99 .

[3] نفسه ، ص 99 .

[4] نفسه ، ص 99 .

أما بالنسبة للمساجد والجوامع فقد أبدع الأندلسيون وتفننوا في تشكيلها وترخيمها فاستطاعوا في مدينة شرشال من بناء أكبر مسجد في هذه المدينة والمعروف بالمسجد الكبير أو مسجد مئة عرصة ، والذي يعود تاريخه إلى القرن 10 هـ /16م وقد تفنن في بنائه أبي عبد الله محمد بن سي عياد الأندلسي قاضي غرناطة فكان يتكون من ثلاثة صحون تقوم على 100 عمود ، وقد حول إلى مستشفى عسكري أثناء الاحتلال الفرنسي.[1]

أما الجامع الكبير بتلمسان يرتكز في تنظيمه على نمط مسجد قرطبة ، فكل الأروقة فيه تتعامد مع جدار القبلة ، ومغطاة بأسقف منحدرة على شكل طيات ، والقبة أيضا تشبه إلى حد كبير في تصميمها الهندسي لقبة جامع قرطبة ذات العروق .[2]

وبالنسبة لتصميم الغرف في القصبة بالجزائر فهو على شكل حرف TP بالقبو الذي يرجع البعض أصله إلى قصر الحمراء .[3]

ويذكر مارمول كربخال أن " بجاية بها حصن حصين وقصور على النمط الموريسكي ليس لها من المنعة قدر مالها من الرونق والجمال "[4]

وقد بنو الأحواض والصهاريج والسواقي والقنوات والناعورات وحفروا الآبار الماء والعيون أهمها عيون الحامة التي بناها أوسطى موسى سنة 1610م .[5]

---

[1] محمد قموز وآخرون ، المرجع السابق ، ص 65 .

[2] رفيدة شقرون، " قراءة تقييمية لأثر الفن المعماري الأندلسي والمدجن على الفن المعماري للمغرب الأوسط" ،ع 23 ، مجلة الإمارات للبحوث الهندسية ، 2018م ، ص 45.

[3] نفسه ، ص 48 .

[4] مارمول كربخال ، افريقيا ،ج2 ، ترجمة : محمد حجي وآخرون ، مطابع المعارف الجديدة ، الرباط ، 1989 م ، ص 377 .

[5] عبد القادر الميلق ، تأثيرات ثورات الموريسكيين الأندلسيين على العلاقات الجزائرية الاسبانية 897. 1017هـ / 1492 . 1609م ، مذكرة ماجيستر ،قسم التاريخ ، جامعة غرداية ، 2012 . 2013م ، ص 147 .

المبحث الثالث : التواصل الاجتماعي بين الأندلسيين والسكان المحليين:

ظل الأندلسيون بمدينة الجزائر لفترة طويلة يعتبرون أنفسهم في دار هجرة مؤقتة فلم يختلطوا بغيرهم من السكان ، وقد عزز هذا الشعور تشبثهم بأصولهم واعتدادهم بنسبهم ، فتحفظوا في علاقاتهم حتى مع الحكام ، ولم يقبلوا على المصاهرة حتى مع الأسر العريقة[1] فالمرأة الأندلسية نادرا ما تتزوج من غير أندلسي إلا إذا اضطرتها الحاجة والفقر إلى ذلك[2] ، إلا أننا نجد بعض المصاهرات للبشوات ولرياس والضباط من أندلسيات ، نذكر منهم عائشة بنت الحاج بشير التي تزوجت القائد داوود[3] ، وشيخ الأندلسيين الذي استقر بوادي الرمان وأسس مدينة البليدة تزوج من امرأة من عشيرة من أولاد سلطان[4] ، وبذلك تكون المصاهرة قد سهلت اندماجهم مع السكان المحليين .

كما لعب العثمانيون بالجزائر دورا كبيرا في استقرار واندماج الأندلسيين ، نظرا للمعاملة الحسنة التي كانوا يعاملونهم بها ، خاصة بعد توصية سلاطين الدولة العثمانية بالاعتناء بهذه الطائفة من المسلمين [5]، وعدم التدخل في شؤونهم ، وإعفاء هؤلاء الموريسكيين من الضرائب وكل التكاليف لمدة ثلاث سنوات ،حتى يتم استيطانهم واستقرارهم بمناطق الإيالة [6]، ومع حلول القرن 18م اندمجت كثير من العائلات بالمجتمع الجزائري ، خصوصا بعد تعاطف الأهالي الجزائريين ومساعدتهم لهم أثناء

---

[1] ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، المرجع السابق ، ص 132 .

[2] حنيفي هلايلي ، " القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري على ضوء الفرمانات العثمانية 1492 _ 1614م "، ع 6 ، جامعة سيدي بلعباس ، ، ص 27 .

[3] ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، المرجع السابق ، ص 51 .

[4] محمد قموز وآخرون ، المرجع السابق ، ص 48 .

[5] نفسه ، ص 48 .

[6] حنيفي هلايلي ، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري ، المرجع السابق ، ص 27 .

هجرتهم إلى الجزائر ، فاستطاعوا شراء العديد من الأراضي للبناء وممارسة نشاطهم الاقتصادي[1] .

إلا أن هذا لا يغفل الدور الكبير الذي لعبته الجالية الأندلسية في الحياة الاجتماعية بالجزائر، إذ أن اشتغالهم بالعمل التجاري، والحرف المهنية ، وطلب العلم، والتدريس ، مكنهم من ربط علاقات واسعة وقوية بمختلف شرائح وطوائف المجتمع الجزائري بالعهد العثماني ، فقد اشتهرت عائلات بامتهان أفرادها التجارة والصنائع مثل ابن رامول ، ابن هني ، ابن الكبابطي ...الخ ، ووصف دي تاسي الأندلسيين بطبقة الأغنياء في مجتمع ايالة الجزائر ، فهم يسكنون المدن ، ويقيمون في منازل كبرى ، ويملكون الثروة ، ويتعاطون التجارة ، وخاصة تجارة الفداء .[2]

وهذا ما جعلهم شريحة اجتماعية متماسكة يحتكر أفرادها أغلب المناصب الإدارية والوظائف الاجتماعية المهمة ، وقد كانت لهذه الجماعة حظوة ومكانة لدى الحكام وتعامل خاص مع التجار الأوربيين والمتعاملين اليهود الذين قدموا من الأندلس والمدن الايطالية . وقد عرفت الأسر الأندلسية بالتكتل والتناصر وروح المبادرة والحيوية وهذا ما دفعهم إلى تخصيص أوقاف للإنفاق على المحتاجين منهم [3].

بالرغم من أن البعض حاول التقليل من دور الجالية الأندلسية الحضاري ووصفه بالركود والجمود فإنه يظل مهما ، لأن تأثير حوالي 7 ألاف عائلة أندلسية بمدينة الجزائر لوحدها كافي لإحداث التغيير الاجتماعي والثقافي بالجزائر خاصة بالمدن الساحلية المعروفة بطابعها الحضاري والمشهورة بفنها الأندلسي الأصيل .[4]

---

[1] محمد قموز وآخرون ، المرجع السابق ، ص 48 .

[2] حنيفي هلايلي ، الحضور الأندلسي في العهد العثماني على ضوء سجلات المحاكم الشرعية ، المجلة التاريخية العربية للبحوث العثمانية ، ع 25 ، جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر ، أوت 2002م ، ص 319.

[3] ناصرالدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، المرجع السابق ، ص 133 .

[4] عبد المجيد قدور ، المرجع السابق ، ص 177 .

الفصل الثالث :

العلماء والمشهد الثقافي

المبحث الأول :مكانة العلماء وطبيعة علاقتهم بالسلطة

المبحث الثاني :هجرة العلماء واتجاهاتها

المبحث الثالث :الرحلات العلمية

المبحث الرابع :الإنتاج الثقافي للعلماء

المبحث الأول :مكانة العلماء وطبيعة علاقتهم بالسلطة :

لقد وصفت الجزائر في العهد العثماني بإسطنبول الصغرى في تنظيماتها السياسية والإدارية ، ولا تكاد تختلف من حيث النظم عن اسطنبول ، إلا في بعض التفاصيل بما في ذلك نظام العلماء ، فقد لعب علماؤها نفس الدور الذي لعبه علماء اسطنبول في الحرب والسلم ، وفي التنافس على الوظائف والمناصب ، وفي حماية الدين والدعوة إلى الجهاد، وظهور العلماء كفئة متميزة ليس وليدة العهد العثماني لا في الجزائر ولا في غيرها من العالم الإسلامي فجهل الحكام هو الذي مهد لظهور العلماء كفئة متميزة ليسدوا الفراغ كمستشارين ، ومشرعين ، ومفسرين [1]، وقد فسم المؤرخون العلماء في الجزائر إلى أربع طبقات وهي :

. الطبقة الأولى : العلماء الذين هم قدوة لطلبة العلم .

. الطبقة الثانية : من تولو الوظائف العلمية كالقضاء والتدريس والإفتاء من دون استحقاق وكانت وسائلهم لنيل تلك الوظائف الرشوة والتزلف .

. الطبقة الثالثة : المبتدعة الدجاجلة الكذابين على طريق الصوفية المرضية .

. الطبقة الرابعة : العلماء المعاصرين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا.[2]

بينما ذهب الباحث ابوالقاسم سعد الله في طرحه إلى تقسيم آخر ، راعى فيه القيمة العلمية ، والمكانة الوظيفية :

أولا من الناحية العلمية :وهم ثلاث طبقات [3]

1 . العلماء الموظفون .

2 . الفقهاء المستقلين : لا صلة لهم بالتصوف .

---

[1] أبو القاسم سعدالله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص ص 387- 388 .

[2] ناصرالدين سعيدوني ، المهدي البوعبدلي ، الجزائر في التاريخ العثماني ، المرجع السابق ، ص 128 .

[3] رشيدة شدري معمر ، العلماء والسلطة بالجزائر فترة الدايات 1671م -1830م ، مذكرة ماجيستر ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2005م _ 2006م ، ص 47 .

3 . المتصوفة : دعاة العلم والولاية (المرابطين) .

ثانيا من الناحية الوظيفية :وهم طبقتين :

1 – الطبقة الرسمية : تشمل القضاة والمفتيين والمدرسين .

2 – الطبقة الملحقة بهم : من رجال الزوايا والمتصوفة وسلالة الأشراف .

والعلماء فئة احتكرت مجالات معينة في المجتمع ،وهي : الإفتاء ، والقضاء والتعليم والإمامة ، والخطابة ، وهذه المجالات كانت محل تنافس بينهم ، وبما أن العلماء هم العارفون بالدين ، فقد تشكل منهم المجلس العلمي الذي يعد بمثابة ديوان المظالم [1] .

لقد كان العلماء يمثلون الرأي العام في الجزائر خلال العهد العثماني ، فهم رغم ترفعهم الطبقي كانوا على صلة بالناس في الدروس ، ومجالس الفتوى ، والقضاء وخطب الجمعة ، وكان الناس يثقون في رجال الدين أكثر مما يثقون في رجال السياسة، والحرب ولهذا كان العثمانيون يقدرونهم ويخشونهم في ذات الوقت ويتقربون منهم .[2]

1ـ مكانة رجال الدين في المدن والريف :

أ ـ في المدن :

تتحدد هذه المكانة من خلال التعرف على الدور الذي يقوم به الفقهاء في المدن وشيوخ الزوايا بالريف ، وعلاقة الحكام بهم ونوعية السياسة التعليمية التي انتهجوها في المدارس والزوايا ، فالفقهاء أصبحوا يتمتعون بوضعية ممتازة ، ومكانة مرموقة نظرا لصلتهم بالحكام ، وارتباطهم بالجهاز الإداري ، واعتمادهم على مردود الأوقاف ، وتأثيرهم على العامة ،[3] وتحكمهم إلى حد كبير في جماعات الطلبة والعاملين في المؤسسات الدينية ، فكانوا بذلك صلة وصل بين الحكام ، والسكان ، وعاملا مهما في اكتساب أنظمة

[1] رشيدة شدري معمر ، المرجع السابق ، ص 47 .

[2] صليحة جبار، الجزائر في عهد الداي علي باشا 1754م – 1766م ، مذكرة ماجيستر في التاريخ الحديث ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر2 ، 2010– 2011م ، ص 62 .

[3] ناصرالدين سعيدوني ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، المرجع السابق ، ص 81 .

الحكم المحلية الشرعية السياسية لدى عامة الناس ، ولهذا السبب بادر الحكام إلى رعاية الفقهاء وإدراجهم في سلك التوظيف الديني ، والى تأسيس العديد من المدارس ، وتقديم يد المساعدة للكثير من الزوايا ، ففي الجزائر أسس محمد الكبير باي الغرب مدارس بمستغانم ، ووهران ، وجدد مدرسة تلمسان ، واعتنى بالمدرسة المحمدية بمعسكر ، كما اهتم صالح باي بقسنطينة بشؤون التعليم ، فأدخل إصلاحات عليها وخصص منحا سنوية لحوالي 700 طالب .[1]

ب ـ في الأرياف :

أما في الريف حيث انحسر نفوذ الفقهاء فكان لشيوخ الزوايا (المرابطين) مكانة مميزة وذلك للخدمات التعليمية ، والاجتماعية التي كانوا يقومون بها ، والنصائح ، والإرشادات التي كانوا يقدمونها ، فهم يقومون بدور الوسيط ، والمصلح ، والمرشد والقاضي ، والمعلم ، وقد ساعدهم في ذلك انتشار حركة التصوف لبلاد المغرب منذ القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) ، والتي ارتبطت بانتشار الزوايا ، وتعدد الطرق الدينية ، وتكاثر الأضرحة والمزارات التي بلغ عددها ببلاد القبائل حسب الورثلاني حوالي 120 مزار منها 50 بجرجرة ، فأصبح للقائمين عليها من الشيوخ مكانة مرموقة في نظر العامة بعد أن انعدم الأمن، واختفت السلطة المركزية بالبوادي واشتد تهديد النصارى منذ القرن التاسع الهجري (الخامس العشر ميلادي) وهذا ما جعل لشيخ الزاوية مكانة خاصة في الوسط الريفي .[2]

[1] ناصرالدين سعيدوني ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لولايات المغرب الثلاث ، المرجع السابق ، ص 81 .
[2] نفسه ، المرجع السابق ، صص 83 _ 84 .

2 ـ علاقــة العلمــاء بالســلطة :

أ ـ التـــقارب :

أدرك الحكام العثمانيون عند وصولهم للجزائر أنهم غرباء عن البلاد ، وأن العامل الذي يربطهم بالأهالي هو الدين ، والجهاد ضد الغزو الأجنبي ، ومن هذا المنطلق سعى العثمانيون للبحث عن حلفاء لهم ضمن فئات المجتمع ، فوجدوا رجال الدين أو العلماء خاصة إذا علمنا أن أول رسالة وجهت للسلطان العثماني كانت من طرف علماء المالكية بالجزائر .[1]

وقد لعب التواجد الاسباني على السواحل الجزائرية دورا بارزا في تدعيم فكرة التحالف بين العثمانيين والعلماء ، خاصة وأن السلطة بالجزائر لم يكن بإمكانها التغلب على تهديدات السفن الأوربية من دون مساعدة وحماية المرابطين ، خاصة أواخر العهد العثماني ، وكان العلماء أكثر المحرضين للباشاوات والبايات على الجهاد وتذكيرهم بواجبهم لتحرير الأرض المغتصبة خاصة تحرير مدينة وهران .[2]

ومن هنا وضعوا سياسة ارتكزت على أسس تحول دون أي نشاط عدائي ضدها من طرف العلماء منها:

1 ـ .الإبقاء على الاتصال مع رجال الدين ، وتقديم ضمانات لهم وامتيازات إضافة إلى إظهار الاحترام ، ونلمس الاحترام الذي أبداه الحكام للعلماء من خلال الرسائل التي كانوا يوجهونها لهم ، والتي كانت تحمل عبارات التقدير ، والاحترام ، والتعظيم المبالغ فيه أحيانا ، بالإضافة إلى تجنب أي ضرر ضد الأضرحة ، والزوايا ، واعتبارها ملاذا للفارين.[3]

---

[1] رشيدة شدري معمر ، المرجع السابق ، ص 88 .

[2] نفسه ، ص ص 88 _ 89 .

[3] نفسه ، ص 101 .

2 ـ مراقبة شيوخ الزوايا ومقدمي الطرق بحذر، بهدف تجنب عدائهم خاصة في المناطق غير المراقبة ،أو البعيدة عن أعين المحلة.

3 ـإقناع شيوخ ومقدمي الطرق بمدينة الجزائر بالعدول عن إثارة القبائل المعادية للسلطة.[1]

ولاستمالتهم أكثر إليها اعتمدت على :

1 ـ المناصب :وعملا بمبدأ ترضيتهم أسندت لهم معظم المناصب البسيطة في الإدارة ففي المدن يتم تعيين من بينهم القضاة والقائمين على المساجد ، أما في الريف فقد أسندت لهم دور الوساطة بين السلطة والأهالي ، لأنهم كانوا يمثلون قوة فكرية ، وسياسية بالمنطقة ، ومن أشهر العائلات التي كان لها امتيازات عائلة ابن الفكون التي دعمت نفوذهم بقسنطينة [2]، فقد تقلدت أسرة الفقون قيادة ركب الحج ، ومنصب مشيخة الإسلام، هذا المنصب الذي كان بحوزة مفتي الحنفية فقط دون غيره وحصول آل الفقون على هذا المنصب دلالة على مكانتها الدينية والاجتماعية وحتى السياسية ، والملاحظ أن أسرة الفقون لم تكن تهتم بالسياسة كثيرا كغيرها من الأسر الأخرى [3].

بالإضافة إلى العالم سعيد قدورة الذي رغم كونه من مفتي المالكية ، وأن الحكام الأتراك كانوا يقدمون مفاتي الحنفية ، إلا أنه استطاع بفضل ذكائه ، وعلمه ، وصلاحه أن ينال حظوة لدى هؤلاء الحكام وأعيان البلاد ، مما جعله يعين ابنه محمد خليفة له في الفتوى ، والخطابة ، والتدريس .[4]

---

[1] رشيدة شدري معمر ، المرجع السابق ، ص 102 .

[2] نفسه ، ص108 .

[3] نصيرة بوجلال ، البيوتات العلمية في قسنطينة مابين القرنين 7-10هـ /13 -16م ، مذكرة ماستر ، قسم التاريخ ، جامعة 8ماي 1945م ، قالمة ، 2016-2017م ، ص ص 89 - 90 .

[4] ابن المفتي ، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها ، جمعها : فارس كعوان ، ط1 ، بيت الحكمة ، الجزائر ، 2009م ، ص29 .

2 ـ جباية الضرائب :قام الحكام بتعيين المرابطين كجباة للضرائب ، أو ممثلين رسميين للبايلك، وهو ما حدث خاصة في منطقة القبائل ، حيث ربطوا علاقات مع أشهر العائلات المرابطة النافذة ، كأولاد سيدي الشريف امزيان، وأحفاد سيدي محمد امقران ببجاية ، الذين أصبحوا جباة للضرائب التي كان يطلق عليها تسمية لزمة مرابطي بجاية أو شمعة مرابطي بجاية ،[1] ومن هنا أذعن الكثير من المرابطين لهذه السياسة وأصبحوا على توافق مع السلطة وتطوعوا حتى لإقناع القبائل لدفع الضرائب ومرافقتها في حملاتها الجبائية وإحاطتها بكل ما يجري في الأرياف المعادية للسلطة المركزية .[2]

كما أعفي بعض العلماء من الضرائب ويظهر ذلك من خلال بيان وقعه خليفة الباي الحاج أحمد عام 1215هـ/1800م ، والذي يعفي فيه الشيخ محمد بن المهدي إمام مسجد أبي ذلول بمازونة من المطالب المخزنية .[3]

ويتضح من الإعفاء من الضرائب أنه كان يتم على العالم وعائلته ويستمر إلى الأبناء والأحفاد ما لم تعلن هذه العائلات العصيان ،والثورة على السلطة .[4]

3 ــ الوساطة : لقد اكتسى دور الوساطة الذي أسندته السلطة للعلماء خاصة المرابطين أهمية كبرى خصوصا في المناطق غير الخاضعة كمنطقة القبائل ، هذا الدور كان يمثل وجهة أخرى لسياسة السلطة بهذه المناطق التي كان وجودها العسكري بها نادرا ، وفي مقابل هذا سيطر المرابطون على كل الأحداث التاريخية .[5]

4 ــ العلماء كمبعوثين ومفاوضين : أوكلت للعلماء مهام سياسية خارجية ، فغالبا ما كانوا يرسلون كمبعوثين سياسيين عند نشوب الحرب خاصة بين الجزائر والمغرب ، التي

---

[1] رشيدة شدري معمر ، المرجع السابق ، ص 110 .

[2] نفسه ، ص 110 .

[3] قدور بوجلال ، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671-1830م ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ وعلم الآثار ،جامعة وهران 1 ، أحمد بن بلة ، 2016 -2017م ، ص 199.

[4] نفسه ، ص 201 .

[5] رشيدة شدري معمر ، المرجع السابق ، ص 111 .

كانت المشاكل والصراعات دائمة بينهما ، وكان للعلماء دور بارز في الصلح بين الطرفين ، ففي الناحية الشرقية نجد مرابطي بني ناصر قد لعبوا دورا هاما في استقرار العلاقات بين تونس وقسنطينة ، ويستعان بالعلماء كسفراء وممثلين للسلطة ، فأشهر العلماء المقربين الذين نالوا شرف السفارة الفقيه محمد ابن العنابي الذي كلفه الداي أحمد باشا (1805 . 1808 م) بالكتابة إلى باي تونس رغم وجود كتاب خاصين [1]، وكذلك وجه الباي محمد الكبير للمغرب هدية مع قاضي محلته وأحد كتابه وهو الأديب الماهر والعلامة الباهر السيد أحمد بن هطال التلمساني [2] الذي شغل عدة مناصب في بايلك الغرب ، حيث عمل كمستشار للباي محمد الكبير وكاتبه الخاص والمبعوث له في عدة قضايا ومهام خارجية.[3]

5 ـ العلماء كمستشارين : ويظهر هذا من خلال مؤلف الرحلة القمرية ، العلاقة الطيبة التي كانت تربط الباي محمد الكبير بالعالم مصطفى بن زرفة ، سواء قبل الفتح أو بعده ، حيث كان من العلماء المقربين للباي ، فقد كان كاتبه الخاص ومستشاره في العديد من المسائل خلال تحرير وهران ، وكان هناك مراسلات بينهما ، وقد ذكر في رحلته القمرية بقوله أنه كان يراسل الباي ويقترح عليه الحلول ويشير عليه بما يجب فعله[4]، ويعتبر مصطفى بن زرفة من العلماء البارزين في الجزائر خلال العهد العثماني الذين كان لهم دور بارز في إثراء الثقافة من خلال كتاباتهم في مختلف المجالات .[5]

---

[1] رشيدة شدري معمر ، المرجع السابق ، ص ص110_ 115 .

[2] أحمد ابن سحنون الراشدي ،الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق : المهدي البوعبدلي ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012 ، ص 255 .

[3] رشيدة شدري معمر ، المرجع السابق ، ص 116 .

[4] فاطمة درعي ، " العالم مصطفى بن زرفة البجاوي ورحلته القمرية ، مجلة الحوار المتوسطي" ، ع 13 ، جامعة معسكر ، 14 ديسمبر 2016م ، ص ص 150- 160 .

[5] نفسه ، ص ص 150- 160 .

كما استشار العلماء في المغاطيس[1] بوهران ، هل يؤمنهم خوفا من أن يذهبوا مع الكفار إلى بلادهم فيتنصرون أو يتنصر عقبهم ، فأشاروا عليه بتأمينهم ، فبعث إليهم كتابا يأمرهم بالقدوم عليه آمنين فبعثوا إليه يقولون له : " ابعث لنا بالأمان مع بعض المرابطين لتطمئن نفوسنا " فبعث إليهم بقاضي البلد العلامة السيد عبد الله بن حواء وخطيب المسجد الأكبر أخينا السيد أحمد والسيد محمد بن فريحة فقدم معهم نحو الأربعين منهم ...." [2]

وقد اشتهر بعض الحكام العثمانيين بحبهم للعلماء وخدمتهم للعلم أمثال :

ـ **الباي ابراهيم المليانـي:** تولى الحكم سنة 1170هـ / 1757م كان محبا للعلماء لمحبته للعلم وراغبا في الصالحين لنيل الفضل والكرم.[3]

ـ **الباي محمد بن عثمان الكبير:** امتدت فترة حكمه من 1779م – 1797م ، لقد كان للعلماء والأدباء مكانة خاصة لديه ، فقرب إليه العلماء ورفع قدرهم وشجعهم على العمل ، والإنتاج ، وبذل لهم الأموال ، ووسع لهم العطايا ، والمنح ، والهدايا ، لاسيما في المناسبات ليتفرغوا للعلم والتعليم[4] ، وذكر احمد ابن سحنون الراشدي في كتابه الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني " .... أما حبه للعلم وإحسانه إلى العلماء الأخيار فقد شاع منه ما يغني عن الأخبار ، وكم من تأليف نشأ بأمره ونال مؤلفه به وافر بره ، فمنها أنه أمر بعض الطلبة بجمع فتاوى العلماء في جوائز الملوك .....، ثم أمرني باختصار الأغاني ، فاختصرته في نحو الثمانين كراسة فأثابني بمئة سلطاني " .[5]

---

[1] المغاطيس : هم المتعاونين مع الاسبان عند فتح وهران .

[2] احمد بن سحنون الراشدي ، المصدر السابق ، صص 445 . 446 .

[3] بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19م ، تحقيق : يحي بوعزيز ، ج 1 ، دار الغرب الاسلامي ، الجزائر ، 1990م ، ص 286 .

[4] قدور بوجلال ، المرجع السابق ، ص 212 .

[5] احمد بن سحنون الراشدي ، المصدر السابق ، ص 155 .

وقد كان الباي محمد بن عثمان محل لوفود العلماء عليه حسب ما ذكره أبو راس الناصر في كتابه فتح الإله ومنته " قصدت وهران وافدا على حضرة من ناب في مدحه لسان الحال عن لسان المقال الملك الأصيل الرفيع الشأن السيد محمد باي ابن عثمان ..." [1]

ولمحبة هذا الأمير للعلم ،والأدب ، كان يشتري كتبه بالثمن البالغ ، ويستكثر منها وينسخ ما لم تسمح نفس مالكه ببيعه ، وكثيرا ما يأمر بقراءتها بحضرته في مجلس حكمه، وإذا انفض الناس انفرد بها فكانت له نعم الأنيس .[2]

وقام ببناء المدرسة المحمدية والمسجد الجامع ، وله في تلمسان ، والجزائر ، ومستغانم مبان كثيرة ، من مساجد ومدارس .....الخ .[3]

ـ **صالح باي** : امتدت فترة حكمه من 1771م – 1792م، كان محبا للعلماء ، والصالحين ، وبنى مسجدا بقسنطينة ، وصرف عليه أموالا قل نظيرها ، وجعل لها أوقافا كبيرة ، وبنى مسجدا بعنابة وكلها للخطبة وقال عنه الشريف الزهار في مذكراته : "واسمه طابق مسماه رحمه الله " .[4]

ـ **مصطفى باشا 1212هـ _ 1220هـ** : تولى بعد حسن باشا ، وهو حفيده ، كان رجلا صالحا حليما كريما محبا للعلماء والصلحاء .[5]

---

[1] ابو راس الناصر ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، تحقيق : عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1982 ، ص 100 .

[2] احمد بن سحنون الراشدي ، المصدر السابق ، ص 155 .

[3] نفسه ، ص 71 .

[4] أحمد الشريف الزهار ، مذكرات نقيب أشراف الجزائر 1754م– 1830م ، تحقيق : احمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1974م ، ص 65 .

[5] نفسه ، ص 71 .

ب ـ الــقطيعة :

لاشك أن هناك عقبات داخلية ، وخارجية أثرت على تدهور العلاقة بين العلماء والسلطة العثمانية بالجزائر ، حيث كان لرجال الدين آراء ومواقف مختلفة من السلطة في هذه الفترة ، مما دفع السلطة العثمانية لمراقبتهم وتضييق الخناق عليهم ، وإتباع سياسة معينة اتجاههم تمثلت في[1] :

1 – **القتــل :** هذا الأسلوب وجه أساسا ضد العناصر التي كانت تهدد استمرار الحكام في الجلوس على عروشهم ، أو ضد منافسيهم من الزعامات الدينية ، أو ضد المعارضين، والمنتقدين ، ومن أهم العناصر التي تعرضت للقتل العلماء ، والفقهاء ، والمتصوفة خصوصا ، فالعثمانيون لجؤا للقتل تخوفا من استقطاب المزيد من الأتباع اثر اندلاع الثورة الدرقاوية، والثورة التيجانية[2]، يقول آغا المزاري حول الباي حسن : "... واجترأ على العلماء ، والأولياء ، والشرفاء ، والرعية ، فبان منه الجور والظلم والتعدي وكثر منه الضلال ، وهتك المحارم ، والتردي ، وطغى وتجبر، وتكبر، وكثر منه الفساد ، والسفك بغير موجب لدماء العباد ، ولم يراقب في ذلك خالقه ولم ينظر ليوم الميعاد..... "[3]

2 – العزل من المناصب : يعتبر العزل من الوظيفة من الأساليب القمعية التي اعتمدها الحكام العثمانيين ضد معارضيهم ، فقد شكل عزل القضاة ، والفقهاء ، وسيلة لمحاولة ردع وتضييق الخناق على العناصر المعارضة لهم ، وبعد الثورة الدرقاوية صار الأتراك يكيلون التهم لرؤساء الدين لا فرق بين المنتسبين لدرقاوة أو غيرها ، ولم ينج من

---

[1] قدور بوجلال ، المرجع السابق ، ص ص 284 _ 286 .

[2] نفسه ، ص 287 .

[3] بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص 350 .

هذه التهم حتى الموالون للأتراك مثل العالم المؤرخ ابوراس الناصر فعزل من مناصبه الرسمية كالإفتاء ، والقضاء من طرف الباي المقلش .[1]

3 – المضايقة والإهانة :تعرض العديد من العلماء للإهانة ، والإذلال ، والمضايقة التي كانت أهون من حيث درجة الأذى الجسماني لما لها من أضرار على المستوى النفسي، والعقلي ، وقد تعرض المتصوفة لهذا النوع من المضايقة أكثر من العلماء ، لما لهم من مكانة لدى عامة الناس مثل الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر من طرف الباي حسن ، ومضايقة محمد الكبير باي الغرب لمرابطي منطقة تسالة .[2]

3 – **المصادرة** :شكلت بعض العوامل السياسية مبررا لمصادرة أملاك العلماء ، وشيوخ الطرق الصوفية من طرف السلطة العثمانية ، مثل تعرض زاوية الشيخ ابو ترفاسإلى تخريب كبير ، وتشريد لطلبتها خلال حكم الباي محمد بن عثمان بحكم أن الشيخ كان على مصاهرة مع الدرقاوي ،[3] إلا أن شيخ الزاوية لم يكن له موقف يذكر .

المبحث الثاني : هجـــرة العلمـــاء واتجاهاتها :

1 – هجرة العلماء :

كان الجزائريون دائمي الهجرة سواء كانت داخلية من مدينة إلى أخرى ، ومن المدينة إلى الريف والعكس ، أم خارجية إلى البلاد العربية الإسلامية مثل المغرب الأقصى وتونس أو بلاد المشرق ، وكان الحجاز وبخاصة الأماكن المقدسة الطاهرة موطن استقرار لهؤلاء الجزائريين من عامة الناس ومن العلماء والأعيان .

---

[1] قدور بوجلال ، المرجع السابق ، ص 298 .

[2] قدور بوجلال ، ص ص 302– 303 .

[3] نفسه ، ص 309 .

وهجرة العالم لا تعني هجرة فرد ،أو أسرة ، وإنما تعني هجرة مكتبة تضم نفائس المعرفة إلى مواطن الهجرة ،[1] ويمكن تقسيم الهجرة إلى نوعين :

. الهجرة المؤقتة : لطلب العلم أو مجاورة بيت الله الحرام .

. الهجرة الدائمة : كانت أغلبها هروبا من أوضاع غير مرضية

أـ دوافــع الهــجرة :

ويمكن حصر الأسباب في عوامل السياسة والاقتصاد والدين والعلم .

1ـ عـــوامل سيـاسية :

هاجر بعض علماء الجزائر ولاسيما من تلمسان ونواحيها إلى المغرب ، عقب استيلاء العثمانيين على مملكة بني زيان ، وظلت موجة الهجرة نحو المغرب مستمرة ، حتى بعد أن استقرت الأوضاع للعثمانيين ، وهناك عائلات انتقلت بأسرها إلى المغرب ولاسيما إلى فاس ، ومعظم العائلات العلمية التي شاع أمرها إلى تلمسان في القرن 9هـ ، انتقلت إلى هناك في القرن الذي يليه .[2]

ولم تكن معاملة الأتراك هي السبب المباشر في هذه الهجرة ، ذلك أن الحروب الداخلية التي عرفتها المملكة الزيانية في آخر أيامها ، وعلاقتها بالاسبان في وهران وضغط بني وطاس عليها من الغرب والعثمانيين من الشرق ، قد جعل العلماء لا يشعرون بالراحة ، ولا بالجو الملائم في الاجتهاد في الرأي ، والحياد السياسي ، فما كان من العديد منهم إلا أن حمل أمتعته وأهله وترك البلاد حتى يهدأ غبار الفتن والمعارك . [3]

---

[1] احميدة عميراوي ، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث ، دار الهدى للطباعة والنشر ، 2005م ، ص 55 .

[2] ابوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ،ص 423 .

[3] نفسه ، ص 424 .

وبالنظر إلى علاقة العلماء برجال الحكم لم تكن حسنة في أغلب الفترات ، لأن المغرب الأوسط عرف صراعات سياسية متتالية انعكست أثارها على العلماء، وعلى كتبهم ومكتباتهم ، حيث تم حرق مكتبة المعصومة في تيهرت .[1]

واستمرت العلاقة السيئة بين العلماء والحكام في كثير من الأحيان ، لهذا فضل العلماء الهجرة، وبالرغم من عدم الاستقرار السياسي في الجزائر بقي العلماء فئة متميزة أمام جهل الحكام المسلمين ، فسدوا الفراغ بأدوارهم كمستشارين ومشرعين ومفسرين وصاروا هم حماة الدين ومصابيح الظلام .[2]

ولعل كون الحكام العثمانيين في الجزائر غرباء عن الثقافة العربية ، وعن تاريخ الحضارة الإسلامية ، والتشريع الإسلامي هو الذي جعلهم كولاة وسلاطين يستأثرون بشؤون الحكم من سياسة واقتصاد وجيش وإدارة تاركين القضايا الأخرى التي لها مساس مباشر بالدين في أيدي فئة أخرى هي فئة العلماء ، ولهذا لا غرابة في عدم تلقي علماء الجزائر العناية الكافية من رجال السلطة العثمانية ، لأن الحياة الثقافية العلمية لم تحظ هي الأخرى بعنايتهم ، الأمر الذي جعل أهل العلم يهجرون الجزائر ومن بقي منهم لم يجد من يقدر علمه وهذا ما أدى إلى انكماش بعض زوايا العلم واتساع دائرة الخرافة .[3]

وبالمقابل شجع الحكام علماء اسطنبول على القدوم إلى الجزائر لهذا قدم إلى الجزائر العلماء والفقهاء بجانب الدراويش مثل : محمد بن علي الخروبي المعروف بالطرابلسي ، الذي قام بمهمات دبلوماسية في المغرب الأقصى قبل أن يستقر بالجزائر، كما تعاطى التدريس والتأليف الشيخ فتح الله ، الذي استقر بقسنطينة ، وأصبح شيخ العلم والتصوف وخطيبا ومفتيا .

---

[1] احميدة عميراوي ، المرجع السابق ، ص 56 .

[2] احميدة عميراوي ، المرجع السابق ، ص 56 .

[3] نفسه ، ص 57 .

هذا ولم يأتي العلماء من اسطنبول فرادى بل وفدت أسر علمية على المذهب الحنفي وأبرزها عائلة ابن المفتي .[1]

ومن أسباب هجرة العلماء الجزائريين تورط بعضهم في المشاكل السياسية المحلية ، وقد حدث ذلك لعيسى الثعالبي الذي كان محظي يوسف باشا، وحدث أيضا ليحي الشاوي وكلاهما هاجر إلى المشرق .[2]

2 ـ عـوامل اجتمـاعية:

عدم وجود مدن علمية مزدهرة كما هو الحال في المغرب الأقصى، وتونس وكذلك المشرق ، فمدينة الجزائر العاصمة كانت معدومة النشاط العلمي.[3]

وكان طلب العلم من العوامل التي تؤدي للهجرة إلى خارج الجزائر ، فتراجع حركة التعليم، وانعدام مراكز علمية معروفة ، جعلت الجزائريين يتحملون عناء السفر ، و الترحال من أجل الجلوس إلى أهل العلم والأخذ عنهم وبالتالي الحصول على الإجازات العلمية .[4]

2 – اتجـاهات الهجـــرة:

أ) الهجرة إلى المغــرب :لقد هاجر العديد من العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى ، وذلك يعود إلى مجموعة من الأسباب نذكر منها :

1. العامل الروحــي :وجود شيوخ طرق صوفية مشهورين بالمغرب .
2. وجود جامعة القرويين .
3. جود حياة هادئة ورخاء .

---

[1] نفسه ، ص ص 57– 58 .

[2] أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 429 .

[3] احميدة عميراوي ، المرجع السابق ، ص 56 .

[4] محمد بوشنافي ، " هجرة العلماء الجزائريين الى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي 1520 . 1830م "، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، ع 4 ، قسم التاريخ ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، ديسمبر 2009م ، ص 100 .

4 . وجود نظام سياسي يرحب بالشيوخ العلماء ،الذي هو الآخر يحظى باحترام علماء الجزائر على أساس أنه نظام شريف النسب .[1]

أشهر العلمـــاء الـذين هـاجروا إلى المغـرب :

ـ أحمد الونشريسي1430م – 1509م : يقول عنه صاحب بستان العلماء : " صاحب المعيار وهو أحمد بن يحي بن محمد ابن عبد الواحد ابن علي الونشريسي، كان فصيح اللسان والقلم ، حتى كان بعض من يحضره يقول لو حضره سيبويه لأخذ النحو من فيه ، وتخرج عنه جماعة من الفقهاء ، وقد حصلت له كائنة من جهة السلطان فانتهبت داره ، ففر إلى مدينة فاس واستوطنها " [2] ، وقد كان وحده خزانة علم ودائرة معارف، فقدت البلاد بهجرته ركنا أساسيا من أركان الحياة العلمية ، وقد ظل ابنه عبد الواحد في فاس أيضا وهولا يقل شهرة عن والده ، حيث كان له مجلس خاص لا يحضره إلا أكابر العلماء، وقد تولى الإفتاء ، والقضاء ، والتدريس ، وظل قاضيا لمدة 18 سنة ، ثم تفرغ للإفتاء واشتهر أنه كان لا يخشى صاحب السلطة في أمور الدين .[3]

إن أكبر موجة من الهجرة نحو المغرب حدثت بعد فشل الحملة السعدية على تلمسان ، فقد رافق السلطان السعدي عند عودته إلى بلاده كثير من العلماء ، الذين كانوا قد أيدوا تدخله في تلمسان ، وكان ذلك حوالي سنة 968هـ ، ومن الذين هاجروا في هذه الأثناء : [4]

1 ـ محمد بن أحمد المعروف بابن الوقاد التلمساني: تولى عدة وظائف رسمية كالقضاء، والإفتاء ، والتدريس في مدن مختلفة من المغرب كفاس ، ومكناس ،

---

[1] احميدة عمراوي ، المرجع السابق ، ص 59 .

[2] ابن مريم المليتي التلمساني ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1908م ، ص 53 .

[3] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 525 .

[4] نفسه ، ص 526 .

وتارودانت ، وسجلماسة وقد أدركته الوفاة بتارودانت سنة 1001هـ ، قيل أن ابن الوقاد رغم هذه الوظائف التي تولاها والظروف التي عاشها في تلمسان وفي المغرب على العهد السعدي قد حذر من العمل لدى الحكام حتى نسب إليه هذا البيت : [1]

كل التراب ولا تعمل لهم عملا فالشر أجمعه من ذلك العمل

ومن العلماء الذين هاجروا إلى المغرب نذكر :

1 ـ أحمد المقري 1522م – 1603م : هو أحمد بن محمد بن يحي أبو العباس علمه غزير وحياته خصبة بالعطاء ، والتأليف ، هو الإمام الحبر البحر العلامة ذو الفنون أبو العباس التلمساني المالكي ، ولد بتلمسان ونشأ بها ، وحفظ القرآن الكريم ، ومنها انتقل إلى فاس سنة 1009 هـ / 1600م ، فأخذ عن شيوخها ثم انتقل إلى مراكش فاستدعاه الخليفة المنصور السعدي وقربه إليه وأكرمه [2].

بدأت شهرته العلمية أثناء وجوده بالمغرب ، انغمس في حمأة السياسة بفاس حتى كادت تأتي عليه الفتنة ، وانفلت من هذا الوضع بذهابه إلى مدينة الجزائر ، ومنها إلى المشرق حيث ظل إلى أن توفي[3] ، له العديد من المؤلفات التاريخية ، والأدبية ، والدينية كان يتنقل من مصر ، ومكة ، وبيت المقدس ، ودمشق ، إذ كان يلقي الدروس الدينية والتاريخية ، وعندئذ ألف كتابه الشهير بمصر الذي سماه في البداية عرف الطيب بالتعريف بالوزير ابن الخطيب ، ثم عدل عن هذه الشخصية إلى تسمية أخرى هي نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وقد بلغت مؤلفات المقري 28 تأليفا في سنة 1037

[1] نفسه ، ص 526 .

[2] مسعود بقادي ، " هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرنين 10هـ / 16م" ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، ص ص 212 . 213 .

[3] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، المرجع السابق ، ص 426 .

هـ / 1628م ، توفي بمصر في جمادى الأخر 1041هـ/ 1631م فدفن في قرافة المجاورين قرب جامع الأزهر .[1]

2 ـ محمد بن عبد الكريم الجزائري : كان من علماء العاصمة ، لأن نسبته الجزائري ، وعمدته في التعليم هو سعيد قدورة ، وهو من علماء العاصمة البارزين في وقته ، كما أنه أخذ العلم على عدد من علماء مصر مثل الأجهوري، والبابلي ، والفيشي، والزرقاني، والشنواني ، أما في المغرب فمن مشائخه عبد القادر الفاسي ، وأبو علي اليوسي ، وقد هاجر ابن عبد الكريم إلى فاس سنة 1083هـ ، وكان قد تردد عليها قبل هذا التاريخ ، ولعلى ذلك كان بإغراء من علماء السلطان اسماعيل ، فقد قدم إلى هذا السلطان الذي أكرمه مرارا ، وكان يجله ويعظمه ، ويبدو أن كفاءته العلمية هي التي مهدت له هذا الطريق لدى السلطان ، فقد قيل أنه كان حسن الحديث والمحاضرة ، ممتع المجالسة وأنه كان دائرة للأدب والتواريخ ، وهذا ما كان يرغب فيه السلاطين المتذوقين للآداب والأخبار، بخلاف ولاة بلاده الجزائر ، وقد توفي ابن عبد الكريم في فاس سنة 1102هـ.[2]

3 ـ محمد ابن أحمد القسنطيني : المعروف بابن الكماد ، رحل من قسنطينة إلى المغرب، وهو من عائلة شهيرة بالعلم والشرف ، تولت القضاء والتدريس والإفتاء في قسنطينة جيلا بعد جيل ، ولكن المنافسين كانوا كثيرين ، وكانت طرق المنافسة غير شريفة ، لذلك اختار عدد من العلماء الهجرة على الدخول في حمأة المنازعات الشخصية، ومنهم محمد بن الكماد ، الذي كان ينتسب إلى الشرفاء ويضيف إلى اسمه نسبة الحسيني ، فبعد أن درس في زواوة على محمد المقري ، وفي العاصمة على محمد بن سعيد قدورة ، واشتهر بالحفظ ، قصد فاس التي كانت موئل العلماء لوجود جامعة

[1] مسعود بقادي ، المرجع السابق ، ص ص 212 . 213 .

[2] ابوالقاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 426 .

القرويين من جهة ، ولأنها عاصمة سياسية غير عثمانية تحترم فيها العربية وعلومها، ولعلمه وفضله ازدحم الناس عليه ، ولاسيما عند تدريس الأصول على جمع الجوامع للسبكي ، حيث كان متمكنا من علوم شتى كالمنطق والتوحيد والحديث والفقه وفروعه [1]، ولفت ذلك إليه نظر السلطان وارتفعت مرتبته لدى أرباب الدولة ، ونال حظوة كبيرة وكان دؤوبا على المطالعة لا يراه الرائي إلا دارسا ، أو مطالعا ، أو مقرئا[2]، فهو منقطع للدرس كثيرا الصمت حتى اجتمعت الكلمة على أنه أحفظ علماء عصره ، ولانقطاعه للتدريس لم يؤلف الكتب ويذكر له مترجموه أجوبة على نوازل مختلفة ، كانت ترد إليه من العامة ، والخاصة ، وترك تلاميذ من أبرز علماء المغرب في وقتهم مثل محمد بن عبد السلام البنياني .[3]

4 ـ محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التجيني التلمساني : 908 . 983هـ / 1502 . 1575م ولد ونشأ وتعلم بتلمسان ، وبرع في عدة علوم كالمنطق ، والفرائض، والبيان ، والحساب، تولى الفتوى المالكية بتلمسان، ثم رحل إلى فاس عام 967 هـ . 1560م ، فقربه إليه السلطان السعدي الغالب بالله ، كما تولى الفتوى على مذهب الإمام مالك بفاس ، ومراكش وبرع في ذلك حتى أطلق عليه مالك الصغير ، وقد أخذ عليه كثير من العلماء والطلبة حتى وافته المنية عام 983هـ / 1575م .[4]

5 ـ أحمد بن محمد العقباني : وهو أحمد بن محمد بن القاسم أبو العباس العقباني ، وتعتبر عائلة العقباني عائلة علم بتلمسان، فقد أنجبت عددا لا يحصى من العلماء وهاجر

[1] نفسه ، ص 426 .

[2] نفسه ، ص 427 .

[3] ابوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 427 .

[4] محمد بوشنافي ، المرجع السابق ، ص ص 101- 102 .

عدد كبير منهم إلى المغرب الأقصى ، استقر احمد العقباني بفاس ، واشتغل بالفتوى المالكية ، والتدريس وبقي هناك حتى وفاته سنة 980هـ / 1572م .[1]

6 ـ الشيخ الأنصاري السجلماسي :يؤكد الكتاني أن هذا الأخير هاجر هروبا من جور الترك ، ولجأ إلى الحج وفي طريقه توقف بالقاهرة ، فأخذ في الأزهر عن أحمد الغنيمي، وأحمد بن عبد الوارث البكري ، ثم عاد إلى فاس ، واستقر بها فقيها إلى أن وافته المنية، وفي فاس جالس خيرة العلماء ، فأحذ عنهم ولازم الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي الحسيني السجلماسي والعالم الولي أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي الصنهاجي ، وحافظ العصر احمد بن محمد المقري التلمساني ، وكان قد بلغ الغاية القصوى في الرواية والمحفوظات.[2]

7 ـ الشارف بن الجيلالي بن التكوك 1803م – 1890م : من بلد مستعانم نشأ وتعلم بها ، كان فقيها عالما متضرعا في مختلف العلوم النقلية ، ويقال عنه أنه قريب الشيخ محمد بن علي السنوسي ، وقد أسس لطريقته زاوية ، هاجر ابن التكوك في عهد حسن باشا ، الذي نقم على بعض العلماء من غير الموالين للحكم العثماني بعد أن قتل حسن باشا شيخه القندوز التوجيني[3].

ب) الهجـــرة إلـــى تونـــس :

فضل بعض العلماء الهجرة إلى تونس لأسباب نذكر منها:

. وجود جامعة الزيتونة .

. وجود حياة فيها استقرار ورخاء ونظام حكم وشعب يرحبون بالعلماء .

---

[1] نفسه ، ص 102 .

[2] كمال فيلالي ، " هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في العهد العثماني" مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، عدد خاص ، جامعة قسنطينة ، أفريل 2008م ، ص ص 376 – 377 .

[3] نفسه ، ص 377 .

. تعتبر تونس معبرا هام إلى المشرق والى البقاع المقدسة .[1]

ومن أبرز العلماء الذين هاجروا إلى تونس :

ـ عاشور القسنطيني :المعروف بالفكيرين ، كان والده من علماء قسنطينة ، تنقل عاشور في الأرض كثيرا ، فدخل بلاد السودان وتونس ، وحج وتولى وظائف التدريس خصوصا في تونس ، ولما رجع إلى قسنطينة صادف مظلمة ، فاختار الخروج منها ثانية ولم يعد إليها ، فقد أدركته الوفاة مهاجرا في مكة المكرمة 1087هـ ، ومهما يكن فإن الأوضاع السياسية والاقتصادية والمظالم هي التي كانت السبب في هجرة عاشور الفكيرين الأولى ، والثانية [2].

ج) الهـــجرة إلـى المشــرق :

ظل المشرق الإسلامي يمثل المرجعية الدينية لأهل المغرب الإسلامي عموما نظرا لوجود مركز الخلافة والمقدسات الإسلامية به فقصدوه للحج والمجاورة ولطلب العلم أيضا كما اختار بعضهم الاستقرار به لأسباب عديدة وفي مقدمتها الأسباب السياسية [3]، ومن بين العلماء الذين هاجروا إلى المشرق نذكر :

1 ـ أحمد بن عثمان بن علي : بن محمد أبو العباس التلمساني الذي ولد وتعلم بتلمسان ثم رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ، كما درس على علماء من مصر والشام والحرمين الشريفين وأحذ عنه عدد من علماء المنطقة وطلبتها وتوفي بالقاهرة .[4]

2 ـ علي بن والي بن حمزة الجزائري : الذي كان حيا في عام 999هـ/1590م يعتبر من أكبر علماء الرياضيات ، وكان قد استقر في اسطنبول لمدة من الزمن ثم عاد

---

[1] احميدة عميراوي ، المرجع السابق ، ص 60 .

[2] أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 430 .

[3] فوزية لزغم ، الإجازات العلمية ، المرجع السابق ، ص 263 .

[4] محمد بوشنافي ، المرجع السابق ، ص 104 .

إلى الجزائر ، ليغادرها إلى البقاع المقدسة ، فاستقر هناك حتى وفاته المنية ، من أهم مؤلفاته تحفة الأعداد لذوي الرشاد ويعتبر من أهم مؤلفاته في علوم الحساب [1].

3 ـ أبو العباس التلمساني : أحمد بن عثمان بن علي بن محمد أبو العباس التلمساني من علماء المالكية ، أندلسي الأصل ، ولد ونشأ في تلمسان ، وأخذ عن مشيختها ، ورحل إلى المشرق وحج وأخذ عن علماء مصر والشام والحرمين وأحذ عنه جماعة من علماء المشرق والمغرب ، توفي بالقاهرة سنة 1151هـ /1738م .[2]

4 **ـ يحـي الشـاوي :** 1621م _ 1685م هو يحي بن محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكريا الشاوي ، عالم النحو مفسر من فقهاء المالكية ، أصله من مليانة ولد بمدينة الجزائر ، حج سنة 1074هـ ، وعاد إلى القاهرة فتصدر الإقراء بالأزهر الشريف ، ثم رحل إلى تركيا ، فمر على طريقه بدمشق ، ولقي الأعلام من رجالها ثم عاد إلى القاهرة ، وفي سنة 1096هـ ، ذهب للحج فمات وهو في السفينة فدفن بالقرافة بالقاهرة ، له شرح التسهيل لابن مالك، ورسالة في أصول النحو، وقرة العين في جمع البين في التوحيد.[3]

المبحث الثالث :الـرحـلات الـعـلمـية:

ترك العهد العثماني في الجزائر عدة رحلات حجازية كتبها أصحابها بعد أدائهم لفرائض الحج ، والمعروف أن الجزائريين الذين توجهوا إلى الحج خلال الفترة العثمانية لم يذهبوا إليها كجغرافيين ، أو مؤرخين ، أو سواح ، وإنما توجهوا إليها حجاجا يؤدون الفريضة ويزورون الحرمين الشريفين ، وقد شغل الجانب العلمي في الرحلات الجزائرية

[1] نفسه ، ص 104 .

[2] عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ط2 ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، 1980م ، ص 67.

[3] نفسه ، ص 186 .

حيزا كبيرا في كتب الرحالة ، فقد خصص الكثير من وقتهم لطلب العلم أينما حلوا في رحلتهم ، فيسألون العلماء ويجلسون في حلقات الدرس ويتلقون الإجازات العلمية .[1]

1 ـ رحلة ابوراس الناصر: هو الشيخ أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن ناصر الراشدي المعسكري ، استوعب العلوم العربية والإسلامية ، وتولى مناصب التدريس ، والقضاء والإفتاء ، اشتهر بالحافظ لغزارة علمه ، انتقل إلى العديد من الأقطار وتعرف على أوضاعها ، واتصل بعلمائها وقد حج مرتين سنة 1770م وسنة 1812م[2]، فزار بلاد الشام ، والحجاز ، ومصر ، والتقى بعلمائها بالقاهرة ، ثم عاد إلى فاس ، ولم تكن رحلته إليها هذه المرة للتدريس بل للمناظرة في المسائل الفقهية ، وكان فخورا جدا بمباراته العلمية ومرتاحا بوجوده في مجالس الذكر والمذاكرة .[3]

كتب أكثر من غيره من الكتاب الجزائريين ، ورغم أنه ألف تقريبا في كل فرع من العلوم المعروفة في وقته ، فإن أغلب كتبه في التاريخ والإنسان والأخبار ، **مؤلفاته :** فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية في مصر ، عجائب الأسفار في الجزائر وباريس ، الدرة الأنيقة ، إسماع الأصم ، الحلل السندسية .[4]

2 ـ رحلة الورثلاني : تعتبر رحلة الورثلاني موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي في القرن 12هـ/18م ، وقد اعتنت الرحلة بالوصف الجغرافي والسرد التاريخي الخاصين بالبلاد العربية (الحجاز) ، وقد اشتملت على معلومات تتصل بالحياة اليومية والحالة الاقتصادية ، والمعايشة ، وأسلوب الحكم ، ومستوى الثقافة ، وطبيعة العادات

---

[1] حنيفي هلايلي ، " الجزائريون والرحلة إلى الحجاز على ضوء رحلتي الورثلاني وأبوراس الناصري " ، مجلة الشهاب الجديد ، ع 7، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، 30 مارس 2008م ، ص 22 .

[2] حنيفي هلايلي ،الجزائر والرحلة ....، المرجع السابق ، ص 25 .

[3] كمال فيلالي ، المقال السابق ، ص 378 .

[4] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 380 .

...الخ ، وذلك حسب خط رحلته ذهابا وإيابا ، وقد أتاحت له هذه الرحلة أن يوسع ثقافته، ومداركه ، وتجاربه ، وينمي معلوماته أثناء حجه وإقامته بالحجاز ومصر[1] ، وقد تكلم في رحلته عن الحكم العثماني واستنكره ، وتكلم عن قلة العلم وشيوع الرشوة والاستيلاء على الأوقاف وانتشار الظلم [2].

أخذ الورثلاني العلم عن شيوخ الأزهر أمثال محمد البليدي ، والحفناوي والجوهري وخليل الأزهري ، وبعد عودته إلى مسقط رأسه اعتكف للعبادة ، والتدريس ، والوعظ وتعتبر رحلة الورثلاني نزهة الأنظار من المصادر الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها للتعرف على أوضاع الجزائر ، وتونس ، وليبيا ، ومصر ، والحجاز في القرن 12هـ /18م .[3]

غلب على الورثلاني الروح الصوفية أكثر من الفقهية ، ومع ذلك فقد كان يجمع بين علوم الظاهر والباطن ، فقد كان شاذلي المذهب ،ألف الورثلاني موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي في القرن 18م .[4]

المبحث الرابع : الإنتاج الثقافي للعلماء :

كانت حركة التأليف كبيرة ومنتشرة في كل الجزائر خلال القرن 11هـ وان طغى عليها الطابع الديني ، فالعالم الذي ينتج عشرات المؤلفات في مثل تلك الظروف التي تسمى غير ثقافية يعد مبدعا بكل المقاييس ، ضف إلى ما سبق أن المئات من مشاهير علماء القرن 11هـ مفقودة ما بالك بمؤلفات علماء طواهم النسيان وهذا ما يجعلنا نؤكد أن الحكم على الحياة الثقافية في هذا القرن أو في غيره من قرون العهد العثماني تحتاج إلى

[1] حنيفي هلايلي ، الجزائريون والرحلة ، المرجع السابق ، ص 23 .

[2] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 398 .

[3] حنيفي هلايلي، الجزائريون والرحلة ، المرجع السابق ، ص 23 .

[4] ابو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 398 .

إعادة نظر[1]، فالعالم الجزائري سحنون بن عثمان الونشريسي صاحب كتاب مفيد المحتاج في شرح السراج في علم الفلك والذي برع في الكثير من العلوم خلال القرن 11هـ ، وقد جاء كتابه هذا شارحا لكتاب السراج للعام المشهور عبد الرحمن الأخضر الذي كانت له مؤلفات قيمة في البلاغة ، والمنطق ، والرياضيات ، واعتنى بها العلماء شرقا وغربا ودرست في المعاهد الإسلامية كالأزهر والزيتونة والقرويين ، ومن العلماء الفلكيين خلال هذا القرن محمد بن أحمد الصخري الذي ألف كتاب القلادة الجوهرية في العمل بالصفيحة العجيبة ، والذي يعود تاريخه إلى سنة 1632م ، وكان مولعا بالأشكال الهندسية ودوران الكواكب والربط بين المتغيرات الطبيعية وحاجات الإنسان .[2]

لكن العناية بالعلوم الطبية كانت أكثر من العلوم الأخرى ، ماعدا الفلك ذلك أن الإنسان كان في حاجة إلى المعالجة ، وقد سيطر الإيمان بالقضاء والقدر على العقول بصفة عامة ، لكن بعض الناس يؤمنون بالعلاج والتداوي وإيفاد الوسائل والأسباب للمحافظة على الصحة ، وهم أولئك المؤمنون بالحديث المنسوب إلى الرسوب صلى الله عليه وسلم "العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان " ، إلا أن الخرافة قد اختلطت بالطب في معظم الأحيان ، والجراحة ونحوها كانت شبه معدومة ، وكلمة حكيم هي الشائعة ويستعملون وسائل الكي والحجامة ، ومن أخبار الباي محمد الكبر أنه كان يعتني بالطب ويشجع العلماء على التأليف في الطب ، وكذلك باي قسنطينة حسين بوكمية اتخذ لنفسه

[1] محمد قرود ، الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي في القرن 11هـ /17م من خلال ثلاثة نماذج : احمد المقري ، عيسى الثعالبي ، يحي الشاوي النائلي، رسالة ماجيستر ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2، 2009 – 2010م ، ص 42 .

[2] محمد قرود ، المرجع السابق ، ص 37 .

طبيبا هولنديا يدعى سانسون ،[1]وللبوني تأليف في الطب سماه مبين المشارب في الأكل والطب مع المشارب وضعه ، ونظمه في آخر حياته سنة 1132هـ .[2]

ورغم حديث العلماء الجزائريين عن الفنون سواء الموسيقى والغناء والرقص ونحوها فإنهم لم يحضوها بتأليف يؤرخ لها ، ويصفها ، ويحدد أنواعها ، ووظيفتها الفنية والاجتماعية ، وقد كان في الجزائر ثلاثة أنواع من الموسيقى : موسيقى الحضر أو الأندلسية وموسيقى البدو وموسيقى العثمانيين ويمتاز كل نوع بخصائصه .[3]

وبالنسبة لفن الخط والكتابة الذي يعتبر من وسائل التعبير الجمالي ، فقد لعب دورا بارزا في إظهار المواهب الفنية المحلية ، وبرع الخطاطون والنساخون وانتشرت مهنتهم ولاقت تقديرا لدى الناس .[4]

أما علم التاريخ فقد كانت العناية به ضعيفة نظرا لسيطرة التصوف والروح الدينية ولم يعرف تطورا إلا خلال القرن 12هـ ، حيث انكب العلماء على الإلمام بتراث الأولين والتأليف فيه ، غير أن العمل في هذا العلم اقتصر على التواريخ المحلية والتراجم والرحلات ، ولم يكتب واحد منهم تاريخا عاما للجزائر ، فنجد التأليف في السيرة النبوية وأخبار الأندلس ، ومن الذين اهتموا بالتاريخ والتراجم ابن المفتي في كتابه التقييدات .[5]

وبذلك تكون مساهمة المؤلفين الجزائريين في الفنون تكاد تكون معدومة ، أما في العلوم فإن مساهمتهم طيبة ، لكن لم يبلغ تأليفهم في العلوم الشرعية والعقلية الأخرى[6]

---

[1] دهبية بوشيبة ، العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني ، مجلة الحوار المتوسطي ، ع 3 – 4 ، د ت ، ص 132 .

[2] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 422 .

[3] نفسه ، ص 437 .

[4] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 448 .

[5] دهبية بوشيبة ، المرجع السابق ، ص ص 135 – 136 .

[6] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 450 .

ومنه يمكن القول مما سبق ذكره أن تقلص الحياة العلمية بما فيها بدائية التعليم، ونقص المدارس ، وقلة التأليف ، وعدم الاهتمام بالعلماء والمثقفين ، بالإضافة إلى عدم توفر الجزائر على مؤسسة للتعليم العالي ، ترتب عنه هجرة الراغبين منهم في طلب العلم لكن كثيرا منهم كانوا يعودون إلى وطنهم ، وهناك قائمة طويلة من العلماء الجزائريين الذين هاجروا ولم يعودوا ، ولا يخفى أن هجرة هؤلاء العلماء التي تدخل فيما نسميه اليوم هجرة العقول قد أثرت على مستوى الحياة الثقافية في الجزائر .[1]

[1] ابوالقاسم سعد الله ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، ج1 ، دار البصائر ، الجزائر ، 2007م ، ص 178 .

الفصل الرابع

التصـــــــوف والمرابطية الانتشار والتأثير

المبحث الأول :لمحة عن ظهور التصوف وانتشاره بالجزائر

المبحث الثاني :علاقة الحكام والعلماء بالتصوف

المبحث الثالث :أهم الطرق الصوفية وثوراتها

المبحث الرابع :الطرق الصوفية والفعل الثقافي

المبحث الأول : لــمحة عن ظهور التصوف وانتشاره بالجزائر

يعتبر التصوف ظاهرة صاحبت الإنسان منذ وجوده واختلف مدلولها من دين لآخر، بل اختلفت في الدين الواحد بين جماعة وأخرى ، وهو ما يفسر قول صوفية المسلمين من أن عدد الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ، ولقد تعددت مفاهيم التصوف بسبب انتشار المتصوفة الذين اهتموا به كعلم من خلال دراساتهم[1] ، ومن هذا المنطلق سنقف على بعض مفاهيم التصوف .

1 ـ مفهوم التصـوف:

أ ـ لــغة: تشتق كلمة التصوف من كلمة صوف جعله صوفيا ،وتصوف صار صوفيا أي تخلق بأخلاق الصوفية والصوفية فئة من المتعبدين.[2]

ولفظ صوفي يشير إلى مجموعة من المتعبدين ، والروحانيين ، الذين اشتغلوا بالتصوف والراجح أن اشتقاق كلمة التصوف من لبسهم الذي هو مصنوع من مادة الصوف ، وقد تكون مأخوذة من كلمة **صوفيا THE SOPHY** اليونانية التي تعني الحكمة ، ومن هذه المصطلحات صار التصوف يدل على سلوك وممارسة التطهر .[3]

ب ـ اصطلاحـا: هي حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن 3هـ ، تدعو للزهد وشدة العبادة ،[4] تعبر عن فعل مضاد للانغماس في الترف ، وكذلك هو رحلة

---

[1] نوارة عماري ، الوضع الثقافي في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني 1771 . 1837م ، مذكرة ماستر ، قسم التاريخ ، جامعة بسكرة ،2016م– 2017م ، ص 50 .

[2] نفسه ، ص 50 .

[3] نفسه ، ص 50 .

[4] نفسه ، ص 51 .

روحانية تعتمد على الخلوة والتجلي الرباني للوصول إلى الحضرة الربانية ، وعلى المريد أن يتجرد من أوساخ الدنيا ويتوب إلى الله ويبتعد عن ملذات الدنيا .[1]

كان التصوف المبكر تعبيرا طبيعيا للعقيدة الشخصية في علاقتها بالتعبيرعن الدين كموضوع مشترك ، كما كانت تأكيدا لحق الشخص في حياة من التأمل الروحي ، أو الديني سعيا للاتصال بمصدر الكون والحقيقة .[2]

كان التصوف في المغرب الإسلامي تصوفا نظريا ، ثم تحول ابتداء من القرن 9هـ واتجه إلى الناحية العملية ، وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية ، وقد ظل هذا التصوف العملي سائدا في جميع أنحاء المغرب العربي .[3]

1 ـ التصوف النظري : هو الذي يخوض فيه العلماء والطبقة المثقفة ، يركز على الجانب النظري من الفكر الصوفي ، وهو يتطلب مستوى معين من الثقافة والعلم ، وأن يكون صاحبه على اطلاع واسع بأحكام الشريعة الإسلامية .[4]

2 ـ التصوف العملي : يركز فيه المريد على بعض الممارسات الفردية والجماعية مثل حلقات الذكر ، الرقص ، الإنشاد ، وقبل أن يتسرب التصوف النظري إلى مختلف الطبقات وشرائح المجتمع كانت المناقشات والمطارحات الفكرية والعلمية تدور بين العلماء والفقهاء فقط ويدرس هذا العلم لطبقة معينة من الطلبة .[5]

---

[1] نوارة عماري ، المرجع السابق ، ص ص 50 . 51 .

[2] سبنسر ترمنجهام ، الفرق الصوفية في الإسلام ، ترجمة : عبد القادر البحراوي ، دار المعرفة الجامعية ، لندن ، 1994 ، ص 21 .

[3] عبد المنعم القاسمي الحسني ، أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى ، ط1 ، دار خليل القاسمي ، الجزائر ، 2006م ، ص 24

[4] نفسه ، ص 25 .

[5] نفسه ، ص 25 .

وأثناء الحكم التركي بالجزائر ظهرت تيارات صوفية عديدة منها ما هو نابع من السلوكيات اليومية كل حسب زهده وقناعته في التصوف ومنها ما هو عبارة عن تيارات فكرية انشقت أفكارها من نظريات صوفية فلسفية مشرقية ،وهذه التيارات تنقسم إلى ثلاثة أنواع :[1]

أ ــ تيار التصوف السني : تميز هذا التيار بالتزامه بالقرآن ، والسنة ، وأخلاق السلف الصالح ، والابتعاد عن الخوض في القضايا السلفية ، كالحلول والاتحاد والوحدة والإشراف .

ب ــ تيار التصوف السني الفلسفي :هو تيار التزم صوفيته تعاليم القرآن والسنة ونزعوا إلى كشف الحجاب لإدراك الحقائق الإلاهية واكتساب العلوم الدينية .

ج ــ تيار التصوف الفلسفي :هو تيار يخضع إلى المجاهدات ، كالتقشف في المأكل والملبس والصيام والتهجد .[2]

2 ــ الـدور الـديني للصــوفية :

. توعية العامة بأمور دينها في المساجد والروابط والزوايا .

. التعريف بالدين الإسلامي في البوادي والأرياف .

. تسهيل مأمورية الحج ومساعدة الفقراء الذين عجزوا عن أداء فريضتهم الدينية .[3]

[1] أحمد مريوش ، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م ، الجزائر ، 2007م ، ص43 .

[2] نفسه ، ص43.

[3] نفسه ، ص 45 .

. تأثيرهم في حركة الجهاد ضد الاحتلال الاسباني لوهران وحتى ضد الاحتلال الفرنسي من خلال الانتفاضات الشعبية .

كما عملت الطرق الصوفية على إزالة الخلافات بين مختلف فئات المجتمع وفك النزاع بين العشائر والقبائل .[1]

3 ـ مفهوم الطـرق الصـوفية :

الطريقة في اللغة هي الأسلوب أو المسلك الذي يوصل إلى المقصود بسهولة ويسر ، وهي كذلك المنهج أو الأسلوب الذي يستنبطه شيخ الطريقة من الكتاب والسنة المطهرة ، لتطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقا كاملا بظاهرتها وجوهرها .[2]

الطريقة تعني ببساطة ذلك المنهج التدريجي للتصوف التأملي وتحرير الروح ، وقد بدأت حلقات المريدين في التجمع حول شيخ الطريقة المعترف به طالبا للتدريس من خلال الاتصال والصحبة ولكن دون الارتباط بأي قيد مبدئي أو قسم بالولاء .[3]

تعتبر الطرق الصوفية من الجماعات الدينية الكبرى التي لعبت دورا بارزا وحساسا في حياة المجتمع الجزائري على مدى قرون عديدة ، ولا تزال أثارها بادية للعيان إلى يومنا هذا ، وهذه الفئة منبعها ديني ومنتسبة إلى عقيدة الإسلام ، وفيها المعتدلون ومنها المتعصبون ، بل هناك من الغلاة في الدين ومنهم المتشددون بل هناك الزهاد في الدنيا والخادمين للآخرة، وهكذا تعددت مشارب هذه الجماعة المتصوفة والمرابطية .[4]

---

[1] سعيدة زيزاخ، " ظاهرة الطرق الصوفية والتغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري" ، مجلة الباحث ، ع 11 ، جامعة الأغواط ، ديسمبر 2012م ، ص 18 .

[2] لطيفة عبو ،"بين مصطلح التصوف والطريقة الصوفية " ، مجلة الفكر المتوسطي ، ع 6 ، جامعة تلمسان ، سبتمبر 2013م ، ص 2 .

[3] سبنسر ترمنجهام ، المرجع السابق ، ص 26 .

[4] أحمد مريوش ، المرجع السابق ، ص 86 .

كان مصطلح المرابط يطلق على الشخص التقي الذي يلازم الرباط في الثغور لمراقبة العدو من جهة ، والذود على المنطقة ، وللعبادة من جهة أخرى ، ومع تطور الزمن أضحى اسم المرابط يثير إعجاب الناس ، لنسكه وورعه حتى أصبح من المقدسين، بل أصبح اسم المرابط يطلق على القبور وحتى على خلفائه من بعده .[1]

4 ـ الفـرق بين التصـوف والطـريقة :

تختلف الطريقة عن التصوف بأنها ليست تجربة فردية بل جماعية وغالبا ما يكون أصلها أحد المتصوفة ، وهي تتخذ شكل أخويات دينية ، حيث يقوم أحد العقلاء باقتراح طريقة ويضع لها شرط الانتساب ، ويختلف أيضا رجال التصوف حسب الرسائل التي يستعملونها للوصول إلى هدفهم ، حيث أن البعض يرى التصوف في الممارسات والوسائل التي توصل إلى الحقيقة ، وهي ممارسة التطهر ، والتقشف ، والقيام بالواجبات الشرعية على أتم وجه ، والتحلي بالأخلاق ، والفضائل ، وتجنب كل الشبيه والمزالق والتسامي ، والتطهر للوصول إلى الدرجة العليا في التقرب إلى الله ونيل رضاه .[2]

والطريقة الصوفية هي شكل من أشكال التنظيم الديني السياسي والثقافي ،يغلب عليها طابع الغموض والسرية وتتصف في علاقاتها بالسلطة والاضطراب والتمرد في كثير من الأحيان ، والمساندة ، والمؤازرة في بعض الأحيان الأخرى .[3]

[1] أحمد مريوش ، المرجع السابق ، ص 87 .

[2] نوارة عمارة ، المرجع السابق ، ص 53

[3] نفسه ، ص 53 .

5 ـ أنــواع الطـرق الصـوفية :

1 . الخــلواتي : ويدعي شيوخها المعرفة بأسرار دينية غيبية خاصة ، والقدرة على تلقينها، فيفرضون عليهم أذكار خاصة تسمى "**الورد** " يتلونها في خلوات خاصة معزولة ومظلمة لمدة معينة ، حتى يفتح الله عليهم ثم يخرجونهم ليصبحوا مريدين حقيقيين .[1]

2 ـ غير الخـلواتي : ولا يدعي شيوخها معرفة أسرار دينية معينة ، ولكن يتخذون لأنفسهم وأتباعهم وردا معينا من الأذكار ، والأذكار يتلونها وراء الصلوات ، ويقومون بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال الصغار ، وتعليم بعض علوم الدين واللغة .[2]

وقد قامت بعض الطرق بفرض شيء من المال على المريد حتى أعطته الصبغة الإلزامية ، لأنها تنطلق من الطاعة إلى الشيخ ، وهي الركن الرئيسي في الصوفية ، كذلك يقوم المريد بدفع التزاماته المالية اتجاه الطريقة ، وتعتبر من أهم مظاهر الانضباط والسلوك الحسن داخل المؤسسة الواحدة التي يدافع عليها المريدون بأنفسهم وأموالهم [3].

وقد تميزت الطرق الصوفية بالتربية الروحية ، والانضباط ، والتعليم الذي أعطته البعض منها أهمية كبرى ، هذا ما جعلها تعرف انتشارا كبيرا في المدن قبل الأرياف ذلك أن معظم المتصوفين قد ظهروا في المدن الكبيرة مثل قسنطينة .[4]

---

[1] نوارة عمارة ، المرجع السابق ، ص 53 .

[2] نفسه ، ص 54 .

[3] نفسه ، ص 54 .

[4] نفسه ، ص 54 .

6ـ انـتشـار التـــــصـوف :

أ ـ عـوامل انتـــــشار التصـوف :

1 ـ عوامل فكرية :وجود أعلام صوفية عملوا على نشر التصوف بكامل المغرب الإسلامي ، أثروا بسلوكياتهم وبعلمهم وبمؤلفاتهم على المجتمع الجزائري ، ومن بينهم عبد الرحمن الثعالبي ، والشيخ ابومدين ، إضافة إلى تأثر الكثير من العلماء بالتصوف المشرقي بعد محاولة الإمام الغزالي التوفيق بين الشريعة والحقيقة .[1]

2 ـ عوامل سياسية : سقوط الأندلس ، وهجرة علمائها من الصوفية وغيرهم إلى الأراضي الجزائرية ، واحتكاكهم بالمتصوفين هناك ونشر أفكارهم إلى الوسط الجزائري .

3 ـ عوامل اجتماعية :انتشار الشرف ، والبذخ عند عدة فئات من المجتمع ، وهذا نتيجة الثراء الفاحش ، وتراجع القيم الدينية والأخلاقية ، حيث أهمل العامة والخاصة الكثير من مبادئ الدين وسلوكه القويم ، فأدى ذلك إلى اختلاط التصوف بالبدعة والخرافة، وأضحى وسيلة للرشوة والفساد واستغلال العامة، فعرفت الطرق الصوفية انتشارا واسعا حتى بلغت نحو مائتي طريقة صوفية .[2]

ب – انتشـــــار التصـــوف :

لقد وجد التصوف وطرقه لأول مرة في بلاد القبائل ببجاية ، والمناطق المحيطة بها ، وكانت بجاية مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون من الزمن، فلقد انطلق من رجالات التصوف الكبار من أمثال أبو زكريا الزواوي ، وأبو زكريا السطيفي، ويحي

---

[1] خديجة طبايبة ، حليمة سعادة ، الحركة التيجانية في الجزائر خلال القرن 19م الأغواط انموذجا ، مذكرة ماستر ، قسم التاريخ ، جامعة 8 ماي 1945م ، قالمة ، 2015 _ 2016م ، ص 9 .

[2] نفسه ، ص 9 .

العبدلي، والشيخ أبو مدين الذي انتقل فيما بعد إلى تلمسان ، وتوفي سنة 595هـ /1197م ، ومنها انتقل التصوف إلى بقية المناطق الأخرى ، فلقد كان الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي أحد أوتاد الطريقة الصوفية في الجزائر ، وقد عرفت طريقته المدينية شهرة واسعة وأتباعا كثيرين في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي ، وازدادت شهرته على يد تلميذه عبد السلام بن مشيش 665هـ ، ثم تطورت وأحياها من بعده شيخ الطريقة الشاذلية وتلميذ ابن مشيش أبو الحسن الشاذلي .[1]

لقد نشر الصوفيون فكرة التوكل على الله ، وهذه فكرة ليست غريبة عن الإسلام ، لكن الصوفية توسعوا فيها ، فلم تعد تقتصر على إلغاء الحرية والاختيار ، بل أن المكتوب كما يسمى العامة التوكل قد نفذ في كل الأوساط المنغلقة والجاهلة على السواء، الأمر الذي أدى إلى ذلك الانحطاط الذي ضرب العلوم والفنون ،وفي هذا الجو من الانحطاط العام ظهرت ظاهرة أخرى ، تتمثل في ذلك العدد الهائل من الأشخاص الذين ادعوا الشريفية، أو الانتماء إلى النسب النبوي ، فقد دعم رؤساء الفرق الصوفية ورجالها مراكزهم بإدعاء النسب إلى الأسرة النبوية ، فأصبحوا أشرافا في أعين الجماهير ، والتصق وصف **سيدي** أو **سي** بهؤلاء الصوفية الأشراف ، وظلت هذه الكلمة متداولة خلال العهد التركي بالجزائر ، بل وحتى في عهد الاستعمار الفرنسي وكان مصدر ظاهرة الأشراف المغرب الأقصى ، وأصبحت الشريفية مصدر تبجيل وثراء لصاحبها .[2]

وقد كان لانتشار الطرق الصوفية والمرابطية خلال العهد العثماني في الجزائر أثره الواضح على حياة العامة من الجزائريين ، حتى كثرت المباني المتخصصة لهم ، وخاصة خلال القرن 15م ، وحسب دراسة للدكتور العيد مسعود فان تلك الظاهرة مردها إلى

---

[1] طيب جاب الله ، " دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري" ، مجلة معارف ، ع 14 ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، اكتوبر 2013م ، ص 136 .

[2] صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514 –1830م ، دار هومة ، الجزائر ، 2012 ، ص 23 .

المعتقدات القديمة التي بقيت حية في ظل الدين الإسلامي الحنيف ، والى موجة التصوف التي عمت المغرب خلال القرن 15م ، كما يعود ذلك أيضا إلى فكرة المرابط التي تتجاوب مع عقلية البسيطة للقبائل الذين يميلون إلى تمجيد المتصوفة ، لأنه في اعتقادهم أن قدرتهم مردها إلى القوة الالاهية ،وانتشرت ظاهرة المرابطين في القرى والجبال أكثر من انتشارها في المدينة ، ووجدت من يرحب بها بين القبائل والأعراش أكثر من فيها من أهل المدن .[1]

المبحث الثاني :عــلاقة الحكـام والعلماء بالتصـوف :

1 ـ علاقة الحكام بالتصوف :

الأتراك العثمانيون كانوا يعرفون أنهم غرباء عن الجزائر لغويا وثقافيا ، ولكن كانت هناك نقاط تقاطع مشتركة عرف العثمانيون كيفية استثمارها ، وهي الدين ، ومنه التصوف كممارسة وسلوك ، والجهاد ضد الغزاة الأوربيين وعلى رأسهم الأسبان، لذلك راحوا يبحثون عن حلفاء لهم في الجزائر ، ولم يجدوا أحسن من رجال الدين والتصوف تحمسا لذلك [2]، ولم يجدوا صعوبة في ذلك ، إذ لم تكن الحركة الصوفية غريبة عنهم ، فقد لعب الدراويش دورا كبيرا في توسعات العثمانيين خاصة في منطقة الأناضول[3]، وكان الجندي الانكشاري الذي يأتي إلى الجزائر يحمل معه تلك الأفكار الصوفية التي تشبع بها من الطريقة البكداشية، ويجد فضاء صوفيا مماثلا يتجلى في هؤلاء المرابطين الذين كانوا يحفونه بالبركات والدعوات لممارسة الجهاد والغزو في عرض المتوسط .[4]

---

[1] أحمد مريوش ، المرجع السابق ، ص 88 .

[2] محمد شاطو، " السلطة العثمانية في الجزائر وعلاقتها بالطرق الصوفية 1792 . 1830 م "، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، ع 3 ، ديسمبر 2008 ، ص ص 112 – 113 .

[3] صالح عباد ، المرجع السابق ، ص 24 .

[4] محمد شاطو ، المرجع السابق ، ص 112 .

اعتمد الأتراك العثمانيون على أهل التصوف سواء كانوا في المدن أو في الأرياف، فكان تقربهم منهم عن عقيدة فيهم في معظم الأحيان ، تماما كما كان يفعل بآبائهم وزملائهم في الأناضول ، والبلقان ، عندما كانوا يأخذون بركات الدراويش .[1]

وشاع في الجزائر التحالف بين الأتراك العثمانيين والمرابطين ، حتى عرف الناس أن هناك سياسة عامة متبعة ، فكثرت الأضرحة ، والقباب ، ودخلت طرق صوفية أخرى من المشرق ، والمغرب ، وأصبح الحكام يظهرون كل الاحترام والتبجيل لأهل التصوف الحقيقي ، والكاذب معا .[2]

ويذكر حمدان خوجة في كتابه المرآة أن المرابطين منحوا ثقة مطلقة لأن ذلك يمنع الجميع أن يقفوا موقفا معارضا ، خاصة وأن هؤلاء السكان لن يترددوا في قتل أصدقائهم وحتى أقاربهم ، إذا علموا أنهم يحتقرون المرابطين أحياءا كانوا أم أمواتا ، ومن ذلك الحس لم يكتف الأتراك بأن فرضوا على أنفسهم احترام هؤلاء المرابطين ، وإنما صاروا يقدمون لهم أكبر الامتيازات وأثمنها وصارت أماكن سكناهم وضرائحهم بعد الموت مقدسة ، كما أن القانون لا يمس كل من لجأ إليهم .[3]

وقد كان الداي علي باشا يمنح المرابطين امتيازات تتمثل في الإشراف على بعض الأنشطة التي تعود عليهم بالفائدة والنفع .[4]

---

[1] محمد شاطو ، المرجع السابق ، ص 112 .

[2] نفسه ، 113 .

[3] حمدان خوجة ، المصدر السابق ، ص 73 .

[4] صليحة جبار ، الجزائر في عهد الداي علي باشا 1754 . 1766م ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2 ، 2010 – 2011م ، ص 62 .

2 –علاقة العـلماء بالتصوف والمتصوفة :

كانت الخلافات بين علماء الجزائر المجندين للسلفية من جهة ، والمعارضين لها أي المنتصرين للمتصوفة من جهة أخرى في محيطها لا تتعداه ، أي لا يتداخل فيها العوام ومن هم في حكمهم ، كما كان معظم العلماء سواء اللذين عن السلفية أو المتنكرين لها يمتازون بالثبات على المبادئ والنزاهة ، لا يتخذون الدعوة العقائدية المذهبية لأغراض شخصية ، أو مادية كجلب المال والتقرب للعوام وذوي الأغراض، فلهذا لم تحدث المقاطعة بينهم ، فنجد مثلا محمد بن مرزوق وزميله قاسم العقباني يتبادلان الاحترام ويتعاونان على خدمة العلم.[1]

وقد أثبت لنا التاريخ أن الطرق الصوفية كان لها تأثير قوي في مجرى الأحداث في العهد العثماني ، ورغم موقف العلماء والسلفيين الذين حاولوا التخفيف من حدتها، ومناقشة أصحابها ، كموقف محمد بن عبد الله الجيلالي مع شيخ الإسلام علي ابن الأمين الأزهري وثلة من رفقائه ، الذين حاولوا باتفاق مع الحكام العثمانيين معارضة الشيخ محمد ابن عبد الرحمن الجرجري الزواوي مؤسس الطريقة الرحمانية بعد عودته من مصر ودعوته إلى نشر طريقته ، فأوجس الباشا وأعوان منه خيفة وأمروا علماء البلاد بمناظرته ، فأخفقوا وسالموه ، ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى اجتاحت الطريقة الرحمانية بلاد القبائل كلها وامتدت إلى بلاد الجنوب والزاب .[2]

أدى تعدد الطرق الصوفية وتطرفها في عقائدها إلى انتشار البدع ، وشيوع حلقات الذكر والأوراد ، وقد كان بعضها يعمل بتشجيع واضح من الحكام العثمانيين ، وهذا ما أدى بالعديد من العلماء إلى التأليف بهذا الصدد ، مثل البستان لابن مريم وكعبة

[1] ناصر الدين سعيدوني ، المهدي البوعبدلي ، المرجع السابق ، ص 175 .
[2] نفسه ، 188 .

الطائفيين لابن سليمان ، ورحلة الورثلاني، وكذلك منشور الهداية لابن الفكون[1] الذي أوضح فيه أصول المبتدعة ، والدجاجلة الكذابين على طريق الصوفية [2].

ووصف ابن الفكون الحضرة الصوفية في كتابه منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية بقوله : " .... واتخذوا الحضرة وهي لعبة يتخذونها يراؤون الناس بها ولا يستخفون من الله بها ويأكلون ومنها يتمولون وعليها قضاء أوطارهم يعولون ، يجتمعون لذكر المولى جل جلاله فيغيرون اسمه ويشطحون ويرقصون وربما يتضاربون ..... لا يفرقون بين واجب ومندوب ولا محرم ولا مكروه ويعتقدون أن ما هم عليه هو الحق الواضح والطريق الأقوم الناجح ، ولقد زين لهم الشيطان أعمالهم وحبب إليهم أعمالهم " **استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** " " سورة المجادلة الآية 19 .[3]

وقد عبر عنهم أحمد ابن سحنون أيضا في كتابه الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني بقوله : " ومازال الأولياء يحضرون ملاحم الجهاد أحياء وأمواتا ، أما الأحياء فبما أوجب الله عليهم كغيرهم من نصرة دينه بقتال أعدائه ، ومع ذلك فلا تصدر منهم الخوارق وان كانوا غير ممنوعين منها ، بل يقاتلون بالآلة كغيرهم فيقاتلون ويقتلون اقتداءا بالنبي عليه الصلاة والسلام وبالسلف الصالح ، وأما الأموات فان أرواحهم تحضر إعانة للمسلمين وإغاثة ، وربما ظهرت منهم الخوارق بل حضورهم من الخوارق ولهم في ذلك أخبار جمة وأحاديث مهمة " .[4]

---

[1] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 178 .

[2] حنيفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، المرجع السابق ، ص 230 .

[3] عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية ، تقديم : ابو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987م ، ص ص 119 – 120 .

[4] احمد ابن سحنون ، المصدر السابق ، ص ص 302 . 303 .

المبحث الثالث :أبـــــرز الطـرق الصـوفـية و أهم ثوراتها :

1ـ أبرز الطرق الصوفية :

أ . **الطريقــة الشابــية** : نسبة إلى الشيخ أحمد بن مخلوف المولود ببلدة الشابة حوالي 835هـ / 1431م وبها ترعرع وتلقى تعليما أوليا ليقوم برحلات علمية ، وسياحية صوفية، وقد ارتبط اسمه بالبلدة التي ولد ونشأ فأصبح يطلق عليه لقب الشابي ،[1] وأصبح لأتباع الطريقة نفوذ بدواخل تونس ، فامتدت سلطة شيوخها من القيروان إلى شرق الجزائر، ونواحي طرابلس 942هـ – 965هـ / 1532م – 1556م ، فقاومت الأسبان وقدمت العون للأتراك قبل أن ينتهي أمرها على أيديهم بعد مقاومة استمرت قرابة القرن [2]، فقد هزت الشرق الجزائري بالحروب والدروشة الصوفية .[3]

ب ـ **الطـريقة الشاذلـية** : تنتسب إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي الغماري دفين الحميرا بصعيد مصر 571هـ – 656هـ / 1175م – 1258م،[4] وكان من أبرز شيوخه عبد السلام ابن مشيش ، الذي يعد من أكبر المتصوفة في المغرب الأقصى ، ويعود أصل تسمية الشاذلية إلى المنطقة التي استقر بها الشيخ أبو الحسن بلدة الشاذلية [5]،وعمل على نشرها ببلاد المغرب سيدي أحمد بن يوسف الراشدي دفين مليانة 931هـ / 1523م ، ومحمد بن علي الخروبي 963هـ /1554م ، فكانت أساس ظهور

---

[1] يوسف بن حيدة ، التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية الطريقة الشابيةأنموذجا ، أطروحة دكتوراه ، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة الجيلالي ليابس ، سيدي بلعباس ، 2016م – 2017م ، ص 3 .

[2] ناصرالدين سعيدوني ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، المرجع السابق ،ص 85 .

[3] ابوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، المرجع السابق ، ص 493 .

[4] ناصرالدين سعيدوني ، الأوضاع الاقتصادية ..... ، المرجع السابق ، ص 86 .

[5] صلاح مؤيد العقبي ، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر – تاريخها ونشاطها – ، دار البراق ، بيروت ، 2002 ، ص ص 143 – 144 .

طرق أخرى تفرعت عنها أهمها الطريقة الزروقية، نسبة إلى أبي العباس أحمد زروق البيجائي البرنسي دفين مصراتة 854هـ / 1441م ، انتشرت خاصة بإقليم طرابلس ، والطريقة الشيخية للشيخ عبد القادر محمد بن أولاد سيدي الشيخ (ت1022هـ / 1613م) بالجنوب الوهراني ، والطريقة الطيبية لمولاي عبد الله الشريف الوزاني (ت 1089هـ / 1687م) وأخوه الطيب الذي حملت الطريقة اسمه وكان له نفوذ كبير بالغرب الجزائري ، والطريقة الحنضالية لسيدي يوسف الحنضالي (ت 114هـ / 1702م)، الذي تأثر بدعوة الطريقة الخلواتية والطريقة الزيانية للشيخ محمد بن عبد الرحمن بن أبي زيان القنادسي (ت 1145هـ / 1733م) انتشرت بنواحي قنادسة واقليم توات [1].

ج ـ الطـريقة القـادرية : تعود في أصولها إلى الولي الصالح الشيخ عبد القادر الجيلالي دفين بغداد (470 –561هـ/ 1079م – 1166م) [2]، وهو من بلاد فارس انتقل منها إلى بغداد التي كانت تعج بكبار الفقهاء وأعلام المحدثين ، ويعود دخول هذه الطرقة إلى الجزائر إلى الشيخ أبي مدين شعيب دفين تلمسان المتوفي سنة 594هـ ، بعد أن تتلمذ على يد شيخها ، وأخذ عنه التصوف وألبسه الخرقة كما هو معمول به عند المتصوفة وكان ذلك بعد عودته من البقاع المقدسة ، حيث أدى فريضة الحج ، وامتازت هذه الطريقة بالتسامح،[3] وقد كان لهذه الطريقة نفوذ بالغرب الجزائري حيث بلغ عدد الزوايا المنتسبة إليها 33 زاوية ، منها زاوية الحاج مصطفى المختاري الغريسي (ت 1200 هـ – 1784م) بالقيطنة على وادي الحمام ، تفرعت عن الطريقة القادرية العديد من الطرق

[1] ناصر الدين سعيدوني ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، المرجع السابق ، ص 86 .

[2] نفسه ، ص 86

[3] صلاح مؤيد العقبي ، المرجع السابق ، ص 144 . 148 .

أهمها : الطريقة العيساوية لمحمد ابن عيسى المكناسي (933هـ / 1526م) ، والطريقة العمارية لسيدي عمار بوسنة .[1]

وتعتبر القادرية الطريقة الوحيدة التي وجدت أرضية صلبة في الجزائر وقد وصلت قبل العثمانيين ولكنها ازدهرت أثناء حكمهم .[2]

د ـ الطريقــة الرحمانــية : نسبة إلى العالم الجزائري الشيخ محمد بن عبد الرحمن القشوطي الإدريسي الحسن الأزهري ، الذي جاء بها من المشرق ، انتشرت في وسط وشرق الجزائر وجنوبها[3] ، وأسست عدة زوايا ، أهمها زاوية عبد الرحمن باش تارزي بقسنطينة ، أسسها عبد الرحمن باش تارزي ، والزاوية العزوزية بضواحي بسكرة ، أسسها ابن عزوز البرجي ،وقد ساهمت زاوية الأزهري في نشر التعليم في الجزائر ، وكان لها عدد من الأساتذة .[4]

هـ ـ الطـريقـة التيجــانيــة : مؤسسها هو أبو العباس الشيخ أحمد التيجاني ، ولد سنة 1737م / 1150هـ ، يقال أن أصله من المغرب ، ويقال أنه من الصحراء غرب قصور ميزاب ، وقيل من قرية عين ماضي قرب الأغواط ، كان أبوه رجلا صالحا ، وله مريدون كان يلقنهم الذكر وضريحه الآن بفاس ، كان ملوك الترك يخافون منهم أن يثور عليهم لكثرة أتباعهم من العرب .[5]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني ، الأوضاع الاقتصادية ، المرجع السابق ، ص 86 .

[2] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 494 .

[3] صلاح مؤيد العقبي ، المرجع السابق ، ص 155 .

[4] ابو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 508 . 509 .

[5] أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص 159 .

إن الطريقة التيجانية قامت بوظائف هامة في نشر الإسلام ، وترسيخ قيمه والتثقيف الديني ، ونشر تعاليمها ، ومبادئها ، لتتعدد وظائفها إلى وظائف اجتماعية، ووظائف تربوية في المجتمع من إصلاح ذات البين والتكافل الاجتماعي .[1]

لم تؤسس الطريقة معهدا للتعليم ، أو تصدر مؤسسها التدريس ، ومع ذلك فإن الطريقة التيجانية قد انتشرت ووجدت لها أتباعا في الجزائر ، وأصبحت ذات أهمية كبيرة اجتماعيا وسياسيا .[2]

2ـ أهـم ثـورات الطـرق الصـوفـية :

وقعت في العهد العثماني ثورات عديدة ، وكانت هذه الثورات متعددة الوسائل والغايات فبعضها كان له طابع ديني ، وبعضها كان له طابع سياسي ، وبعضها له طابع اقتصادي ، كما أن البعض منها كان نتيجة تمرد شخص طمعا للجاه والسمعة ، وفي بعض الأحيان كانت ثورة طريقة صوفية بأسرها ، أو ثورة قبيلة كاملة ، ومن نماذج ثورات المتصوفة ورجال الطرق الصوفية والتي انتهت في أحيان كثيرة بأشكال أكثر دموية الثورة الدرقاوية .[3]

ـ الثـــورة الـــدرقـاوية : 1805 . 1816م

تنتسب هذه الثورة إلى عبد القادر الشريف الدرقاوي ، ويعرف بابن الشريف الدرقاوي كاتب العرب في أمر القيام على الترك ، وادعى أنه صاحب الوقت واتبعه العرب وسارت إليه القبائل ، وظهرت له كرامات وكان مع ابن الشريف أناس كثيرون ،[4]

---

[1] سعيدة زيزاخ ، المرجع السابق ، ص 80 .

[2] ابوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 513 .

[3] قويدر قيداري، "الطرق الصوفية والسلطة العثمانية في الجزائر بين 1520 ـ 1830 م "، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، ع 10 ، ، جامعة معسكر ، ديسمبر 2015م ، ص 116 .

[4] احمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص84 .

انتصر على مصطفى العجمي باي وهران في موقعة فرطاسة، بين وادي المينا ووادي العبد عام 1805م ، ومكنه هذا النصر من السيطرة على معسكر ، وفرض سلطانه على كل المنطقة الممتدة مابين مليانة شرقا إلى وجدة غربا[1] ، ويصف المسلم[2] أتباع الشريف الدرقاوي بقوله "موكب مسخرة وازدراء لكل القبائل الخاضعة له، لا يتقابلون إلا سرا وفي الأماكن الخالية المهجورة الصحراوية ويلبسون ملابس بالية مع قلائد من الأصداف على رقابهم ، ويركبون الأحصنة أو الحمير ولا يقولون شيئا إلا كلمة (الله) في صلواتهم ، لا يظهرون شيئا إلا السلم".[3]

والواضح أن ابن الشريف حينما أحس بقوته العسكرية ، قرر مهاجمة وهران التي فرض عليها الحصار لمدة 8 أشهر ، لكن الباي محمد بن عثمان المعروف بالمقلش تمكن من فك الحصار بمساعدة قبائل المخزن ، وملاحقة الثوار والانتصار عليهم في عدة معارك ، واستطاع إخضاع القبائل الثائرة مثل قبيلة مهاجر ، والبرجية ، وبني عامر المتحالفة مع الشريف الدرقاوي ، [4] وذلك لمعرفة المقلش بأن حركة الشريف الدرقاوي لم تكن دينية محضة كما تدل على ظاهرها ، فقد كان لها طابع سياسي يتداخل فيه المغرب الأقصى الشريفي ، والجزائر العثمانية .[5]

تعاطف بعض الدايات مع الطريقة الدرقاوية، حيث التقى باي وهران محمد بن عثمان الملقب بـ بوكابوس بالطريقة سرا وأعلن تحالفه مع السلطان المغربي سليمان ، كما

---

[1] حنيفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 24 .

[2] المسلم بن محمد باش دفتر الباي حسن 1800 – 1813م الموافق لـ 1215 – 1228هـ

[3] ANDRIEN DELPECH ,LE SOULÈVEMENT DES DERK'AOUA DE LA PROVINCE D'ORAN D'APRES LA CHRONIQUE D'EL-MOSSELLEM BEN MOHAMMED,BACH DKFTAR DU BEY HASSAN,REVUE AFRICAINE ,VOLUME 18 ,1874,P 39 .

[4] حنيفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 24 .

[5] قويدر قيداري المرجع السابق ، ص 118 .

وعد هذا الباي كل من اسبانيا وبريطانيا بعدة امتيازات اقتصادية في حالة تقديم المساعدات العسكرية لإنجاح ثورته ، لقد باءت هذه المحاولة بالفشل ، لأن اسبانيا ترددت بسبب التزامها بالاتفاقية المبرمة على الجزائر ، والمغرب الأقصى فرغم تأييده المطلق للباي إلا أن إمكانياته العسكرية كانت غير كافية .[1]

وقد عانى من الثورة بعض العلماء ، والعامة ممن وقع بين ناري السلطة ، والدين كالعالم الحافظ أبي رأس الناصري ، الذي كادت تأتي عليه رياح الثورة التي رصد أحداثها في كتابه درء الشقاوة في فتنة درقاوة .[2]

المبحث الرابع :المـــؤسسات والإنتاج الثقافي للطرق الصوفية :

1 – المؤسسات الثقافية للطرق الصوفية :

أ . **المساجد** : كان التداخل بين الجامع والمسجد والزاوية من حيث التسمية ، وهذا لأن المتصوفين أو علماء التصوف كانوا في بداية الأمر يعتمدون على الزوايا في القيام بمختلف أعمالهم ، لكن فيما بعد أخذ كل شيخ أو عالم من علماء التصوف يبني مسجدا تابعا للزاوية ، ومن هذا أصبح وجود المساجد يلعب دورا هاما في نشر التصوف وطرقه، حيث أصبح المتصوفين يعتمدون عليه في إلقاء دروسهم في مختلف العلوم المتعلقة بالحياة الإسلامية ، ونشر أذكارهم المتصوفة ، والتعريف بشؤون الناس ومعالجة بعض المشاكل ، والقضايا المتعلقة بالحياة اليومية للمجتمع ، وبذلك يكون شيخ التصوف قد أدى رسالته وجمع حوله أكبر عدد ممكن من الناس ، ويؤدي هذا إلى نشر طريقة المتصوفة بينهم ، وقد قام المتصوفة بتأسيس المساجد وصيانتها وإقامة الوقف عليها، بهدف التقرب إلى الله واستمالة الفئات الاجتماعية إليهم ، ونشر أفكارهم المتنوعة في

[1] حنيفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 24 .
[2] قويدر قيداري ، المرجع السابق ، ص 119 .

الوسط الاجتماعي للمجتمع الجزائري ، ونجد من بين هذه المساجد مسجد الصوفي الشهير أبو مدين بتلمسان.[1]

ب ـ الزوايا والرباطات : تشمل على مسجد تؤدى فيه فروض الصلاة ، وأبنية ليسكنها الطلبة الغرباء والفقراء (الزهاد) ، تحبس عليها أوقاف كثيرة تنفق منها على شيوخها، الذين ينهضون فيها بتدريس العلوم الدينية واللغوية ، وعلى طلابها الغرباء والنازلين بها من الفقراء ، وكانت بذلك دارا للتعليم والعبادة ، وكثيرا ما كان يدفن فيها الشيخ الصالح، الذي أقام بها فينصب له ضريح وتقام عليه قبة وتسمى باسمه ، ويقصده الناص للزيارة والتبرك به ، ويعد مؤسس الزاوية المسؤول عنها وترث ذريته القيام عليها ، كما تعتني بإلقاء المحاضرات في الموضوعات ، والعلوم الدينية المختلفة ، وتحول كثيرا منها خاصة في المدن الجزائرية إلى شبه مدارس عادية ، وتعتبر الزاوية مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية المؤبد للذكر والأوراد وإسماعها للآخرين ، كما تقوم أحيانا بعقد الصلح بين المتخاصمين [2].

ج ـ المدارس العلمية : هي مؤسسات ثقافية ، تتمثل وظيفتها بصورة أساسية في تعليم مختلف العلوم الدينية ، وغير الدينية ، وقد ساهمت هذه المدارس في نشر أفكار رجال التصوف ،وذلك لنشر مذهبهم وطرقهم بين الناس خاصة في المرحلة الأولى من ظهور التصوف ، وبانتشار هذه المدارس في الجزائر أخذ التصوف وطرقه في التوسع والانتشار في الوسط الاجتماعي الجزائري ، فكان لا تخلو منها حي من الأحياء ولا قرية من القرى في الريف[3]، وبفضل هذه المؤسسات انتشر التصوف في الجزائر ، وانتقل من فترة

---

[1] رشيد بكاي ،" تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني" ، مجلة الباحث ، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا ، جامعة عمار ثليجي ، الأغواط ، ع 8 ، ديسمبر 2011م ، ص 232 .

[2] نفسه ،ص 233 .

[3] نفسه ،ص 237

التصوف النخبوي إلى التصوف الشعبي ، وذلك لانتشاره بين العامة والخاصة الأغنياء منهم والفقراء وظهرت بذلك الطرق الصوفية .[1]

د- المكتبات : تعتبر المكتبات مؤسسة ثقافية هامة في حياة المتصوف ، حيث أنها كانت الوسيلة الوحيدة والمكان الوحيد الذي يمكن فيه للشيخ المتصوف أن يبلغ من خلاله رسالته عن طريق وضع هذه المؤلفات في المكتبة ، ويكون المتصوف قد حقق نجاحا كبيرا في إيصال ما يريده لمختلف الفئات خاصة منهم الطلبة ، وقد كان بعض المتصوفة يملكون مكتبات خاصة بهم ، وتسمى على اسمهم وتكون تابعة للمسجد أو الزاوية التي بناها.[2]

2 – الإنتــاج الثقافي الصــوفي:

بقدر ما سيطرت روح التصوف على الحياة العلمية والاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني ، بقدر ما كثر إنتاج العلماء في هذا الميدان ، فنحن نجد الكثير من الكتب ، والرسائل ، والتقاييد ، والمنظومات ، التي تتناول التصوف من قريب أو من بعيد كالأذكار ، والأوراد ، والردود ، والمناقب ، والمواعظ ، والحكم ، والشروح ، الخاصة بقصائد الصوفية ، والمدائح النبوية التي تنظر إلى الرسول وسيرته نظرة صوفية روحانية،[3]وقد ظلت أعمال ابن الصعد (النجم الثاقب) على الخصوص ، وأعمال محمد بن يوسف السنوسي ، وتأليف أحمد النقاوسي (الأنوار المنبلجة) على قصيدة ابن النحوي، وأعمال الحوضي ، والجزائري أحمد بن عبد الله ، وعبد الرحمن الثعالبي ،

[1] رشيد بكاي ، المرجع السابق ، ص 238 .
[2] نفسه ، ص 238 .
[3] ابوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص ص 111 _ 112 .

ومرائي الفراوسنيو المازوني (صلحاء الشلف) وغيرهم مصدرا هاما للتأليف في علم التصوف وفروعه[1] .

فالتصوف الحقيقي هو الذي تتوفر فيه شروط أساسية منها معرفة الكتاب والسنة معرفة دقيقة ، والعلم بهما والجمع بين العلم ، والعمل ، والسعي إلى معرفة الله حق المعرفة عن طريق التأمل ، والنظر أو التفكير في مخلوقاته ، بالإضافة إلى التقى ، والورع ، والتجرد عن هوى النفس ، وحب الدين ، والابتعاد عن مغريات السياسة والسلطة[2].

وكان معظم المؤلفين يقرون الحركات الصوفية والتعمق فيها ، ولا يتناولون أصحابها بالنقد أو يتهمونهم بخرق قوانين علم التصوف كما شرعه أربابه الأولون ، وكان الفكون جند بعض طلابه وأنصاره ضدهم أيضا ، فكتب عبد الرحمن البهلولي شعرا في نقد البدع ، وانتشرت الدعوة بين بعض المتعلمين لولا أن العصر كان عصر التصوف وليس عصر الفقه والنظر العقلي ، وكان التأليف في التصوف أكثر من تدريسه على عكس بعض العلوم الأخرى ، والذين جمعوا بين التدريس ، والتأليف في التصوف فعددهم قليل أيضا ، ومن هؤلاء عمر الوزان فقد انقطع للتدريس ورفض منصب القضاء وجمع بين الفقه والتصوف ، أما محمد أبهلول المجاجي وتلميذه سعيد قدورة ، فقد اشتهر كل منهما بتدريس التصوف ، ولعل أحمد بن يوسف الملياني هو أكبر شخصية صوفية خصها المؤلفون بالتقاييد والتأليف والأشعار، ومن مؤلفات الملياني نفسه في التصوف رسالة في الرقص ، والتصفيق ، والذكر في الأسواق .[3]

---

[1] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 112 .

[2] منال جليطة ، الحياة الثقافية في ايالة الجزائر العلوم النقلية أنموذجا، مذكرة ليسانس في التاريخ العام ، قسم التاريخ ، جامعة الطاهر مولاي ، سعيدة ، 2016 – 2017م ، ص 17 .

[3] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 113 .

ومن الأعمال الصوفية شرح محمد بن سليمان بن الصائم المسمى كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين ، وقصيدة حزب العارفين نظمها موسى بن علي اللالتي التلمساني ، واشتهر في القرن 11م ، وتناولها أكثر من واحد بالشرح والتعليق ، والتبرك ، وهي قصيدة في أهل التصوف وفي أحوال العصر ،[1] وكان اللالتي ناقما على الحياة السياسية والاجتماعية بتلمسان صاحب كرامات كثيرة .[2]

أما المواعظ والأذكار فقد ألف فيها محمد بن سليمان بن الصائم كتابا سماه (حياة القلوب وقوت الأرواح في عمارة الملوين)، وأوراد المساء والصباح ألفه بعد أن فرغ من كتابه كعبة الطائفين بحوالي عشر سنوات .[3]

وفي آداب الدين والآداب العامة ،ألف عبد اللطيف المسبح كتابا هاما سماه عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان ، وقد شرح فيه تأليفا مختصرا لعبد الرحمن ألأخضري[4].

ولم يؤلف عبد الكريم الفكون منشور الهداية ، فقط بل ألف أعمالا أخرى في التصوف أيضا منها قصيدة له في التوكل بالله سماه سلاح الذليل في دفع الباغي المستطيل .[5]

أما الرسائل الصوفية فقد كثرت مع أوائل القرن 19م على يد علماء ورجال الطرق الدينية ، أهمها أرجوزة محمد بن عزوز البرجي ، رسالة المريد ، والمنظومة الرحمانية لعبد الرحمن الباش تارزي ، والمراثي المكية في آداب الطريق والأدعية لمحمد الزجاي .[6]

---

[1] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 131 .

[2] عبد المنعم القاسمي الحسني ، المرجع السابق ، ص 412 .

[3] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، المرجع السابق، ص 139 .

[4] نفسه ، ص 139 .

[5] نفسه ، ص 140 .

[6] دهبية بوشيبة ، المرجع السابق ، ص 130 .

ومنه يمكن القول أن الجزائر خلال العهد العثماني كانت غنية بالمرابطين والطرق الصوفية ، ولكن مرابطيها قد ابتعدوا شيئا فشيئا عن العلم والعمل به ، واقترب أغلبهم من التدجيل والخرافة ، ولم يكن لهم فلسفة في التوحيد ، ولا عقيدة واضحة في الدين ، وكل ما كانوا يفعلونه هو بناء الزوايا ، وادعاء الكرامات ، وإعطاء العهود ، والأوراد وتلقين الأذكار ، وجمع المال والهدايا من الفقراء ، واستغلال العامة ماليا ، وقليل منهم من سلك طريق الزهد ، والتصوف لله ، وعاش لدينه وعلمه ، ومعظم الطرق الصوفية كانت نسخة مكررة لبعضها ولا تكاد تختلف سوى في الزمن ، والبيئة ، أو في الاعتدال والمبالغة، ولا تكاد نجد طريقة أصيلة نابعة من ظروف سياسية ، أو دينية أستوجب ظهورها محليا ، فقد كانت جميع الطرق مستوردة الأفكار من أجزاء العالم الإسلامي الأخرى ، إما من المغرب كالدرقاوية، أو المشرق كالقادرية ، ومع ذلك فإن المرابطين وطرقهم لعبوا دورا بارزا في الحياة الثقافية ، والسياسية للبلاد ، ذلك أن كثيرا من الأشعار والتأليف في المناقب ، والتصوف ، والسير خلال هذا العهد ، وكانت معظم الزوايا مراكز للتعليم ، ومخازن للكتب وفي نفس الوقت كانت الطرق الصوفية في أواخر العهد العثماني مصدر قلق للحكام ، والولاة تخوفا من ثورتهم .[1]

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 525 .

الخاتمة

خاتمة :

لقد توصلت في ختام هذه الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات أهمها :

– أن العثمانيين لم يحملوا معهم مشروعا ثقافيا إلى الجزائر ، ولم يعتنوا بالثقافة كعنايتهم بالحرب ، ومرد ذلك كونهم أعاجم لا يتقنون لغة أهل البلاد ، وسيطرة الجهل على كثير من الحكام ، وفي المقابل لم يشكلوا عائقا في وجه استمرار الحياة الثقافية الإسلامية .

– أن الجزائر أنجبت كوكبة من العلماء تركوا لنا إنتاجا في مختلف المجالات الشرعية والأدبية وحتى العلمية ، لكنهم لم يجدوا المؤسسات العلمية التي تتكفل بهم ، مثل ما كان في الزيتونة ، والقرويين ، والأزهر ، وهذا ما جعل نخبة من هؤلاء إن لم تهاجر تفكر بالهجرة لأن الجو السياسي والثقافي الذي كانوا يعيشونه لا يساعدهم على الاستقرار والإنتاج الثقافي ، ، إلا أن هجرة العلماء إلى المغرب الأقصى والمشرق الإسلامي ، لم تكن بمعزل عما حدث من تطورات واضطرابات عاشتها الجزائر ، مثل خسارة الجزائر لعالم جليل هو أحمد بن يحي الونشريسي الذي هاجر الى فاس لأسباب سياسية بالإضافة إلى انزواء بعض العلماء مفضلين حياة الزهد والهروب من أدران الحياة أمثال عبد الرحمن الثعالبي ، وتلميذه أحمد بن عبدالله الزواوي الجزائري ، إذ لم تكن وجهة العلماء المهاجرين إلى المغرب الأقصى من قبيل الصدفة ، بل كان لأسباب متعددة أبرزها وجود تلك المنارة الحضارية التي ملأ إشعاعها الحضاري والديني الأفاق ، لما تحتويه من مدارس ومجالس تعليم خاصة جامع القرويين .

– ولقد لاقى العلماء من بعض الحكام العثمانيين معاملة قاسية كالسجن والنفي والإعدام والإبعاد عن الوظائف السياسية ونحوها أدركنا الجو الذي كان يعيش فيه علماء الجزائر في العهد العثماني وأدركنا بالضرورة أنه لم يكن جوا يساعد على الاستقرار

والإنتاج الثقافي الذي كان قائما في غالبه على جهود العلماء أنفسهم ، ومن وجه الإنصاف في حق حكام الجزائر العثمانيين أن بعضهم اهتم بالعلم والعلماء وشجع على الإنتاج العلمي ، وبناء المساجد ، والزوايا ، والمدارس ، وأوقفوا لها أوقافا لخدمتها مثل الباي محمد بن عثمان باي وهران .

– لقد أسهم تدفق الهجرات الأندلسية على إحداث التأثير على كافة المستويات حيث لاقت أساليبهم التعليمية رواجا واسعا في مدارس ومعاهد وزوايا الجزائر ، فاكتسبوا ود الأهالي ، كما استطاعوا بفضل خبرتهم ومهارتهم في ميدان العمران من بناء العديد من المساجد والزوايا لا تزال شاهدة على تفوقهم .

أما على المستوى الفني فقد تمكنوا من نشر طابعم الغنائي الأندلسي المعروف بالموشحات (المالوف) بين الجزائريين ، والذي لا يزال فنا رائجا إلى يومنا هذا ، بالإضافة إلى نشرهم لتقاليدهم في مجال الملبس والمأكل والعادات والتقاليد لاسيما في المناسبات الدينية و الخاصة .

ومهما اختلفت الآراء ، تبقى أثار الجالية الأندلسية في كل مجالات الحياة الثقافية تحكي قدرتهم على الإبداع الفني ، والعلمي ، والعمراني .

يعد ظهور التصوف والطرق الصوفية في الجزائر العثمانية من أهم العوامل التي أثرت في الحياة الثقافية ، خصوصا وأن الطرق الصوفية ساهمت في انتشار التعليم في الزوايا ، وبناء المدارس ، والمساجد ، بتشجيع من الحكام العثمانيين ، الذين كانوا يولون شيوخ الطرق الصوفية اهتماما كبيرا ، لأن التصوف لم يكن غريبا ، عنهم باعتبار الدراويش لعبوا دورا كبيرا في توسعات العثمانيين ، خاصة الطريقة البكداشية التي انتشرت في أوساط الإنكشارية.

إلا أن انتشار العادات السيئة ، والانحلال الفكري في أوساط المتصوفة ، وابتعادهم عن منهجهم جعل الكثير من العلماء ينتقدونهم ، ويؤلفون الكتب في ذلك ، على غرار عبد الكريم الفكون الذي تصدى للدجاجلة والمبتدعة .

لقيت الطرق الصوفية أواخر العهد العثماني عداءا من طرف الحكام العثمانيين بسبب لتشجيعها الثورات ضدهم ، حيث كانت معظم الثورات تابعة لطرق صوفية مثل الدرقاوية ، والتيجانية ، وغيرها .

ومما سبق يتضح أن الجزائر عانت مثل بقية بلاد المسلمين من تأخر علمي وعدم القدرة على الإبداع ، حيث انحصر الجهد العلمي في الحفظ ، وكتابة الشروحات والحواشي والتعليقات ، دون أن تظهر ملكة الإبداع ، كما أهملت العلوم العقلية مثل الكيمياء والطب والفيزياء وغيرها من العلوم الأخرى .

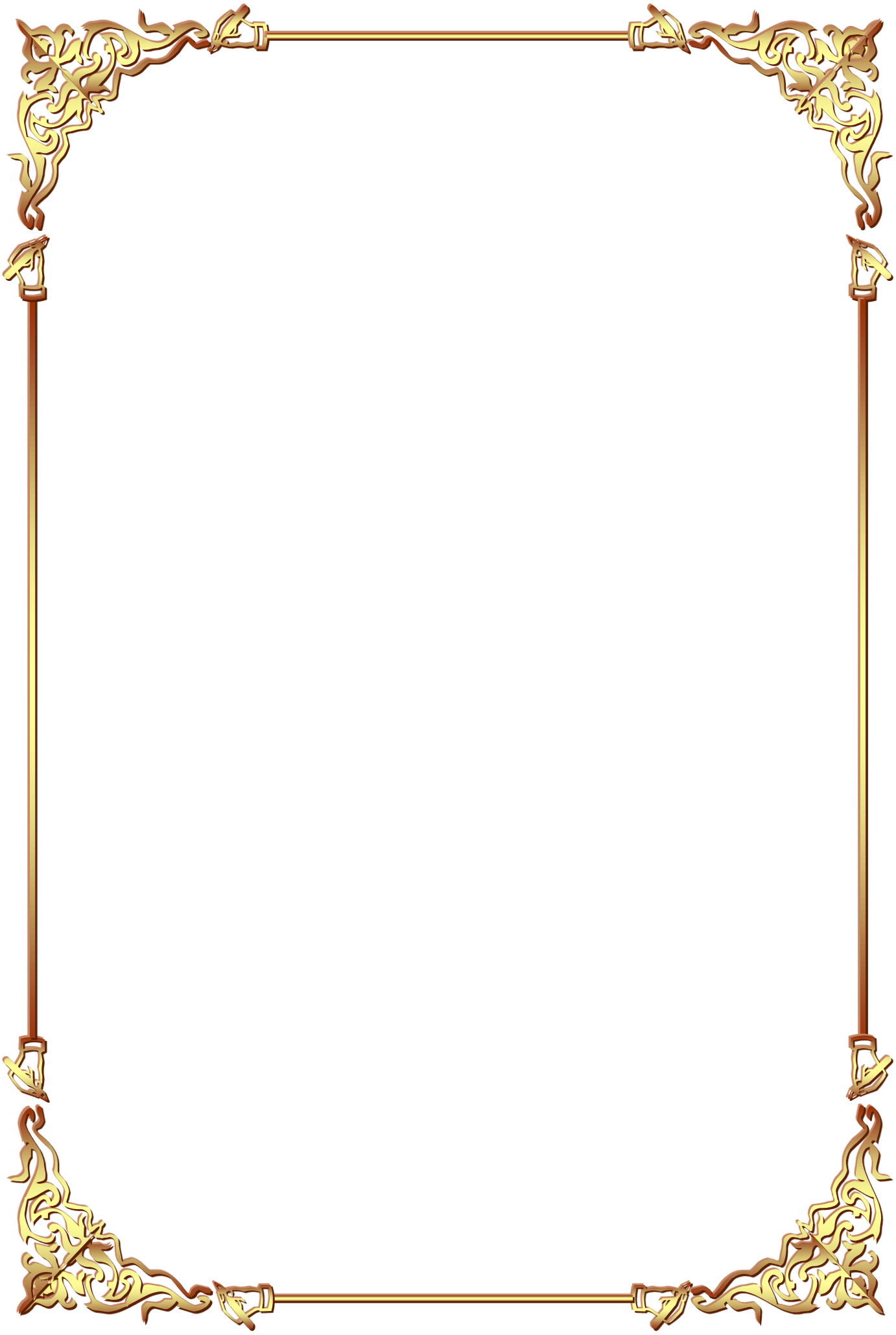

شكل 51- أندلسية حضرية تلبسها المحظية

شكل 52 أندلسية حضرية ترتدي سروالا قصيرا فوقه قميصا وفرملة

(عن متحف كوسموبوليت)

[1] شريفة طبان ، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد لعثماني ، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية ، 1990 - 1991، ص260.

1

قائمة لأهم العائلات الاندلسية المقيمة بمدينة الجزائر

1- عائلة الروج	2- لعائلة ابرامون
3- عائلة بن مطري	4- عائلة الدويسي
5- عائلة بن فارطة (كارطة)	6- عائلة بن بوجر
7- عائلة بن فاضل	8- عائلة العنداد
9- عائلة الخيار	10- عائلة قاسم
11- عائلة مارين	12- عائلة بوضربة
13- عائلة بن سالم	14- عائلة الكميليا
15- عائلة قرانص	16- عائلة صفره (صفر)
17- عائلة برالطة	18- عائلة البون
19- عائلة خملال	20- عائلة حراد
21- عائلة بن الطبال	22- عائلة ابن الاحرش
23- عائلة الحجام	24- عائلة صعد
25- عائلة البقلة	26- عائلة العربي
27- عائلة الاخروف (الاحروني)	28- عائلة العربي(القبوي)
29- عائلة بن فارس	30- عائلة بن عمار

[1] محمد قموز ، مهدية طيبي ، خالد زراولة ، الهجرة الاندلسية واثرها على المغرب الاوسط من القرن 16 م-19م، قسم العلوم الانسانية ، جامعة الجيلالي بونعامة ، خميس مليانة، 2016-2017م، ص 118.

قائمة المصادر والمراجع

ـ قائمة المصادر والمراجع :

1 – المصادر :

1. ابن العطار احمد ابن المبارك ، تاريخ بلد قسنطينة 1790 – 1870م ، تحقيق : عبد الله حمادي ، دار الفائز للطباعة والنشر ، قسنطينة ، 2011م .
2. ابن المفتي ، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها ، جمعها : فارس كعوان ، ط1 ، بيت الحكمة ، الجزائر ، 2009م .
3. أوهانبسترايت ج ، رحلة العالم الألماني ج. أوهانبسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ . 1732م ، ترجمة :ناصرالدين سعيدوني ، دار الغرب الإسلامي ، تونس .
4. بربروس خيرالدين ، مذكرات خيرالدين بربروس ،ترجمة : محمد دراج ، ط1 ، شركة الأصالة للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2010 .
5. التلمساني ابن مريم المليتي ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، د ط، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1908م .
6. الجزائري محمد بن ميمون ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تحقيق : محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1981 .
7. خوجة حمدان ، المرآة ، تعريب : محمد العربي الزبيري ، منشورات ANEP ، الجزائر ، 2006م .
8. الراشدي أحمد ابن سحنون ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق : المهدي البوعبدلي ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، 2012 .
9. الزهار أحمد الشريف ، مذكرات نقيب أشراف الجزائر 1754م– 1830م ، تحقيق: احمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1974م.

10. شالر وليام ، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816 – 1824م ، تعريب : إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982م .

11. شوفالييه كورين ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر 1510 ـ 1541 ، ترجمة جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2007م.

12. الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية ، تقديم : ابو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987م ،

13. كربخال مارمول، إفريقيا ،ج2 ، ترجمة : محمد حجي وآخرون ، مطابع المعارف الجديدة ، الرباط ، 1989 م .

14. المزاري الأغا بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19م ، تحقيق : يحي بوعزيز ، ج 1 ، دار الغرب الإسلامي ، الجزائر ، 1990م.

15. الناصري أبوراس ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، تحقيق : عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1982 .

16. الوزان حسن ، وصف إفريقيا ، ج2 ، ترجمة : محمد حجي ، محمد الأخضر ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1983م .

2 – المراجع :

1. ابو القاسم سعد الله ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، ج1 ، دار البصائر ، الجزائر ، 2007م .

2. ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500م –1830م ، ج1 ، ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998م .

3. ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500م –1830م ، ج2 ، ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998م .

4. ترمنجهام سبنسر ، الفرق الصوفية في الإسلام ، ترجمة : عبد القادر البحراوي ، دار المعرفة الجامعية ، لندن ، 1994 .
5. الجميعي عبد المنعم ، الدولة العثمانية والمغرب العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2006م .
6. الحسني عبد المنعم القاسمي ، أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى ، ط1 ، دار الخليل القاسمي ، الجزائر ، 2006م .
7. خير فارس محمد : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ، ط1 ، د د ن ، دمشق ، 1969م .
8. سبنسر وليام ، الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب : عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2006م .
9. سعيدوني ناصر الدين ، النظام المالي في الجزائر في أواخر العهد العثماني 1792 م . 1830 م ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ، الجزائر ، 1985م
10. سعيدوني ناصر الدين ، البوعبدلي المهدي ، الجزائر في التاريخ العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م.
11. سعيدوني ناصر الدين ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، البصائر للنشر، 2014 .
12. سعيدوني ناصر الدين ، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر ، ط2 ، البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013م.
13. عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514 –1830م ، دار هومة ، 2012.
14. العقبي مؤيد ، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر – تاريخها ونشاطها – ، دار البراق ، بيروت ، 2002

15. عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر ، ريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2002م .

16. عميراوي احميدة، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث ، دار الهدى للطباعة والنشر ، 2005م .

17. كوران أرجمنت، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر ، ترجمة : عبد الجليل التميمي ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، 1990 .

18. لزغم فوزية ، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518.1830م ، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية ، 2011م .

19. المدني أحمد توفيق ، هذه هي الجزائر ، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د. ت .

20. مريوش أحمد ، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م ، الجزائر ، 2007م

21. مولاي بالحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981م .

22. الميلي مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج3 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، 1964م .

23. هلايلي حنيفي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2008م .

3– المعاجم :

نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، 1980م .

2 – الرسائل الجامعية :

1) بن حيدة يوسف ، التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية الطريقة الشابية أنموذجا ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجيلالي ليابس ، سيدي بلعباس ، 2016م –2017م.

2) بوجلال قدور ، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671–1830م ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ وعلم الآثار ،جامعة وهران 1 ، أحمد بن بلة ، 2016 –2017م.

3) بوجلال نصيرة ، البيوتات العلمية في قسنطينة مابين القرنين 7–10هـ /13 – 16م ، مذكرة ماستر ، قسم التاريخ ، جامعة 8ماي 1945م ، قالمة ، 2016–2017م .

4) بوحسون عبد القادر ، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الإسلامي ، قسم التاريخ ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 2007. 2008م .

5) جبار صليحة ، الجزائر في عهد الداي علي باشا 1754 . 1766م ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2 ، 2010 . 2011م .

6) جليطة منال ، الحياة الثقافية في ايالة الجزائر – العلوم النقلية أنموذجا – مذكرة ليسانس في التاريخ العام ، قسم التاريخ ، جامعة الطاهر مولاي ، سعيدة ، 2016 – 2017م .

7) درقاوي منصور ، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين 10هـ – 13هـ/16م – 19م بين التأثير والتأثر ، رسالة ماجيستر ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة وهران ، 2014 –2015 .

8) شدري معمر رشيدة ، العلماء والسلطة بالجزائر فترة الدايات 1671م – 1830م ، شهادة ماجيستر ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2005م –2006م .

9) شويتام ارزقي ، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519 . 1830 م ، دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2005 . 2006 م .

10) طبان شريفة ، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد لعثماني ، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية ، 1990 . 1991.

11) طبايبة خديجة ، سعادة حليمة ، الحركة التيجانية في الجزائر خلال القرن 19م الأغواط نموذجا ، مذكرة ماستر ،قسم التاريخ ، جامعة 8 ماي 1945م ، قالمة ، 2015. 2016م .

12) عمارة فاطمة الزهراء ، المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين 8هـ– 9 هـ/14 م –15م ، مذكرة ماستر ، قسم الحضارة الإسلامية ، جانعة وهران ، 2009 –2010م .

13) عماري نوارة ، الوضع الثقافي في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني 1771 . 1837م ، الإنسانية ، قسم التاريخ ، بسكرة ،2016م– 2017م

14) غطاس عائشة ،الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700 . 1830م مقاربة اجتماعية اقتصادية ، أطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، 2000 .2001م .

15) قرود أمحمد ، الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي في القرن 11هـ/17م من خلال ثلاث نماذج أحمد المقري– عيسى الثعالبي – يحي الشاوي

النائلي ، مذكرة ماجيستر في التاريخ الحديث ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2 ، 2009 -2010م .

16) قموز محمد ، طيبي مهدية ، زراوة خالد ، الهجرة الأندلسية وأثرها على المغرب الأوسط من القرن 16 الى 19م ، مذكرة ماستر ، جامعة الجيلالي بونعامة ، خميس مليانة ،2016 م . 2017م .

17) لزغم فوزية ، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي 925-1246هـ/1520- 1830م ، دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، ، 2013م .

18) مقصودة محمد ، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1519م ـ 1830م ، ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة وهران ، 1435هـ - 2014م .

19) مهدي لبنى ، شريفي صباح ، الحركة التعليمية في الجزائر العثمانية ، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2016 -2017 م .

20) الميلق عبد القادر ، تأثيرات ثورات المورسكيين الأندلسيين على العلاقات الجزائرية الاسبانية 897. 1017هـ / 1492 . 1609م ، مذكرة ماجيستر ، جامعة غرداية ، 2012 . 2013م .

3- الحـوليـــــات :

- سعيدوني ناصر الدين ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب الثلاث الجزائر – تونس – طرابلس من القرن 10هـ - 14هـ / 16م – 19م ،الحولية 31 ، قسم التاريخ ، ، كلية الآداب ، جامعة الكويت ، 2010م .

4- المقالات :

1) بقادي مسعود ، هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرنين 10هـ / 16م ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة .

2) بكاي رشيد ، تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، مجلة الباحث ، ع 8 ، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا ، جامعة عمار ثليجي ، الأغواط ، ديسمبر 2011م.

3) بوشنافي محمد ، هجرة العلماء الجزائريين الى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي 1520 - 1830م ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، ع 4 ، قسم التاريخ ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس، ، ديسمبر 2009م .

4) بوشيبة دهبية ، العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني ، مجلة الحوار المتوسطي ، ع 3 – 4 ، د ت.

5) جاب الله طيب ، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري ، مجلة معارف ، ع 14 ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، اكتوبر 2013م .

6) درعي فاطمة ، العالم مصطفى بن زرفة البجاوي ورحلته القمرية ، مجلة الحوار المتوسطي ، ع 13 ، جامعة معسكر ، 14 ديسمبر 2016م.

7) زيزاخ سعيدة ، ظاهرة الطرق الصوفية والتغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري مجلة الباحث ، ع 11 ، جامعة الأغواط ، الجزائر ، ديسمبر 2012م .

8) سهيل جمال الدين ، ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن 11هـ / 17م ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، ع 13 ، قسم التاريخ ، المركز الجامعي غرداية ، 2011م.

9) شاطو محمد ، السلطة العثمانية في الجزائر وعلاقتها بالطرق الصوفية 1792 –1830 م ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، ع 3 ، ديسمبر 2008 .

10) شقرون رفيدة ، قراءة تقييمية لأثر الفن المعماري الأندلسي والمدجن على الفن المعماري للمغرب الأوسط ، مجلة الإمارات للبحوث الهندسية ، ع 23 ، 2018م .

11) عبو لطيفة ، بين مصطلح التصوف والطريقة الصوفية ، مجلة الفكر المتوسطي ، ع 6 ، جامعة تلمسان ، سبتمبر 2013م .

12) فيلالي كمال ، هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في العهد العثماني ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، عدد خاص ، مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية والتاريخية لحركات الهجرة ، جامعة قسنطينة ، أفريل 2008م.

13) قدور عبد المجيد " الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج "، مجلة العلوم الإنسانية ، ع 20 ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، ديسمبر 2003م ،.

14) قيداري قويدر ، الطرق الصوفية والسلطة العثمانية في الجزائر بين 1520 - 1830 م ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، ع 10 ، جامعة معسكر ، ديسمبر 2015م.

15) هادي جلول ، الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السلطة الزيانية بها ق 8 هـ -9هـ/ 14م-15م ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية ، قسم العلوم الاجتماعية ، جامعة حسيبة بن بوعلي ، الشلف ، ع 19 ، جانفي 2018م.

16) هلايلي حنيفي ، " العلماء والأولياء في تلمسان الزيانية في ضوء بغية الرواد"، مجلة الحوار المتوسطي ، ع 8 ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، مارس 2015م ،.

17) هلايلي حنيفي ، الجزائريون والرحلة إلى الحجاز على ضوء رحلتي الورثلاني وأبوراس الناصري ، مجلة الشهاب الجديد ، ع 7، جامعة جيلالي اليابس ، سيدي بلعباس، 30 مارس 2008م .

18) هلايلي حنيفي ، الحضور الاندلسي في العهد العثماني على ضوء سجلات المحاكم الشرعية ، د. م ، ع 25 ، جامعة جيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، الجزائر، أوت 2002م .

19) هلايلي حنيفي ، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري على ضوء الفرمانات العثمانية 1492م – 1614م ، د. م ، ع6 ، جامعة جيلالي اليابس ، سيدي بلعباس .

- **المقالات بالفرنسية :**

_ DELPECH ANDRIEN , LE SOULÈVEMENT DES DERK'AOUA DE LA PROVINCE D'ORAN D'APRES LA CHRONIQUE D'EL-MOSSELLEM BEN MOHAMMED BACH DKFTAR DU BEY HASSAN , REVUE AFRICAINE , VOLUME 18 , 1874.

5 – المواقع الإلكترونية :

1 – العابد فتحي ،" المالوف التونسي"، http://www.diwanalarab.com/spip.php?article38059، تاريخ التصفح 20 /2019/05م .

2 - قدومي ندى ،" الموشحات ،.https://mawdoo3.com ، تاريخ التصفح 20 /05/ 2019م .

فهرس الأعلام والأماكن

فهرس الأعلام

-ابن الفكون : 10 ، 21 ، 52 ، 85 ، 94 ، 95.
-ابو راس الناصر : 21 ، 56 ، 57 ، 68 .
-أحمد المقري : 22 ، 63 .
-أحمد الونشريسي : 61 .
-خيرالدين بربروس : 9 ، 10 ، 11 ، 12 ، 30 ، 33 .
-سعيد المقري : 21 .
-عيسى بن محمد الثعالبي : 21 .
-عروج : 9 .
-محمد الكبير : 50 ، 54 ، 55 ، 56 ، 58 .
-المنقلاتي : 21 ، 25 .

فهرس الأماكن

-اسبانيا : 9 ، 15 .

-اسطنبول : 11 ، 48 .

-الأندلس : 9 ، 14 ، 17 ، 25 ، 28 ، 33 .

-بجاية : 9 ، 25 ، 44

-تلمسان : 9 ، 14 ، 18 ، 25 ، 32 ، 33 ، 38 ، 39 ، 44 ، 50 ، 56 ، 59 ، 62 ، 92 ، 93 ، 95 .

-تنس : 9 ، 28 ، 30

-تونس : 11 ، 30 ، 54 ، 61 .

-الجزائر : 10 ، 11 ، 12 ، 13 ، 14 ، 15 ، 16 ، 19 ، 20 ، 23 ، 28 ، 32 ، 34 ، 36 ، 40 ، 41 ، 46 ، 48 ، 56 ، 61 .

-شرشال : 12 ، 32 ، 39 ، 42 .

-قسنطينة : 10 ، 13 ، 25 ، 40 ، 54 ، 71 ، 79 .

-مليانة : 9 .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	
- مقدمة	1
الفصـــــل الأول : من المغرب الأوسط الى الجزائر	
ـالمبحث الأول :إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية :	6
1- تأسيس الإيالة	8
المبحث الثاني :بنية المجتمع الجزائري العثماني	10
1 ـ سكان المدن	10
2-سكان الأريـاف	13
المبحث الثالث : واقع البيئة الثقافية للجزائر العثمانية	14
1 ـ الواقع الثقافي قبيل الوجود العثماني	14
2 ـ الواقع الثقافي للجزائر خلال العهد العثماني	16
3 ـ التعليم ومؤسساته في الجزائر العثمانية	20
الفصل الثـــــاني : الهجرات الأندلسية إلى الجزائر وإسهاماتها الحضارية	
المبحث الأول : الهجرات الأندلسية إلى الجزائر	25
1 ـ أسباب الهجرة إلى الجزائـر	25
2 – مراحل الهجرات الأندلسية	26
المبحث الثاني : أشهر العائلات الأندلسية ومواطن استقرارها	28
1 – أشهر العائـــلات الأندلسية بالجــزائر :	28

2 – مواطن استقـــرار العائلات الأندلسية بالجـــزائر	29
المبحث الثالث : الإسهامات الأندلسية في المجالات العلمية والفنية	31
1ـالإسهـامـات العلمية	31
2–الإسهامات الـفنية	36
المبحث الرابع : التواصل الاجتماعي بين الأندلسيين والسكان المحليين	42
– الفصل الثـــــالث : العلماء والمشهد الثقافي	
المبحث الأول : مكانة العلماء وطبيعة علاقتهم بالسلطة	45
1– مكانة رجال الدين في المدن والريف	46
2– علاقـة العلمـاء بالسـلطة	48
المبحث الثاني : هجرة العلماء واتجاهاتها	55
1 –هجرة العلماء	55
2 – اتجـاهات الهجـــرة	58
المبحث الثالث : الرحلات العلمية : عرض نماذج	65
1 ـ رحلة ابوراس الناصر	65
2 ـ رحلة الورثلاني	66
المبحث الرابع : الإنتاج الثقافي للعلماء	67
– الفصل الرابع : التصـــــوف والمرابـــــطية	
المبحث الأول : لمحة عن ظهور التصوف وانتشاره بالجزائر	71
1 ـمفهوم التصـوف	71
2 ـ الـدور الـديني للصـوفية	73

3 ـ مفهوم الطـرق الصـوفية	74
4 ـ الفـرق بين التصـوف والطـريقة	**75**
5 ـ أنـواع الطـرق الصـوفية	**76**
6 ـانـتشـار التـــصـوف	**77**
المبحث الثاني : علاقة الحكام والعلماء بالتصوف	**79**
1 ـ علاقة الحكام بالتصوف	**79**
2- علاقة العـلماء بالتصوف والمتصوفة	**81**
المبحث الثالث : أهم الطرق الصوفية وثوراتها	**83**
1ـ أبرز الطرق الصوفية	**83**
2 ـ أهـم ثـورات الطـرق الصـوفـية	**86**
المبحث الرابع :المـؤسسات والإنتاج الثقافي للطرق الصوفية	**88**
1 – المؤسسات الثقافية للطرق الصوفية	**88**
2 – الإنتـاج الثقافي الصـوفي	**90**
الخاتمة	**95**
الملاحق	**102**
قائمة المصادر والمراجع	**104**
فهرس الاعلام والاماكن	**117**

الملخص :

بانضمام الجزائر الى الدولة العثمانية تأثرت الجزائر بعدة مؤثرات في مختلف المجالات خاصة المجال الثقافي ،سواء تأثر إيجابي أو سلبي ، هذا دون أن ننسى أن الوجود العثماني رافقه تدفق للهجرات الأندلسية للمغرب العربي خاصة الجزائر ، وكان للتصوف انتشار كبير وواسع في الجزائر باعتبار الدولة العثمانية شجعت التصوف وساهمت في بناء الزوايا ، وكانت علاقتها بالعلماء والمتصوفة متباينة ، أحيانا حسنة ، وأحيانا أخرى متوترة حسب ظروف البلاد ، وهذا أثر بشكل واضح على العلماء وإنتاجهم الثقافي في الجزائر ، مما شجعهم على الهجرة الى خارج البلاد .

الكلمات المفتاحية : الحياة الثقافية في الجزائر ، التصوف والمرابطية ، الهجرات الأندلسية ، العلماء ، الإنتاج الثقافي للعماء والمتصوفة .

Résumé

Avec l'adhésion de l'Algérie à l'Empire ottoman, l'Algérie a été affectée par plusieurs influences dans divers domaines, notamment dans le domaine culturel, qu'ils soient positifs ou négatifs, sans oublier que la présence ottomane s'accompagnait d'un afflux de migrations andalouses vers le Maghreb arabe, en particulier l'Algérie, et le soufisme avait une large diffusion en Algérie. Considérant que l'Empire ottoman a encouragé le soufisme et contribué à la construction de coins, ses relations avec les érudits et le soufisme était variée, parfois bonne, et parfois tendue selon les circonstances du pays, ce qui a clairement affecté les érudits et leur production culturelle en Algérie, ce qui les a encouragés à migrer hors du pays .

Mots-clés: Vie culturelle en Algérie, soufisme et almoravideisme, migrations andalouses, érudits, production culturelle de cécité et de mysticisme.